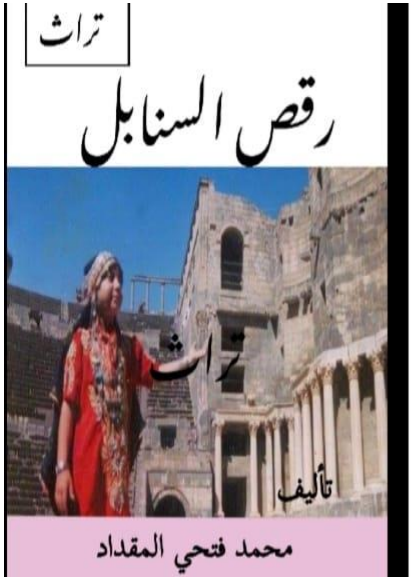

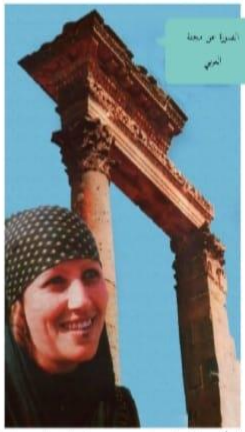

امرأة حوارية جانب ﷺ سرير بنت الملك- تُصرى انشام

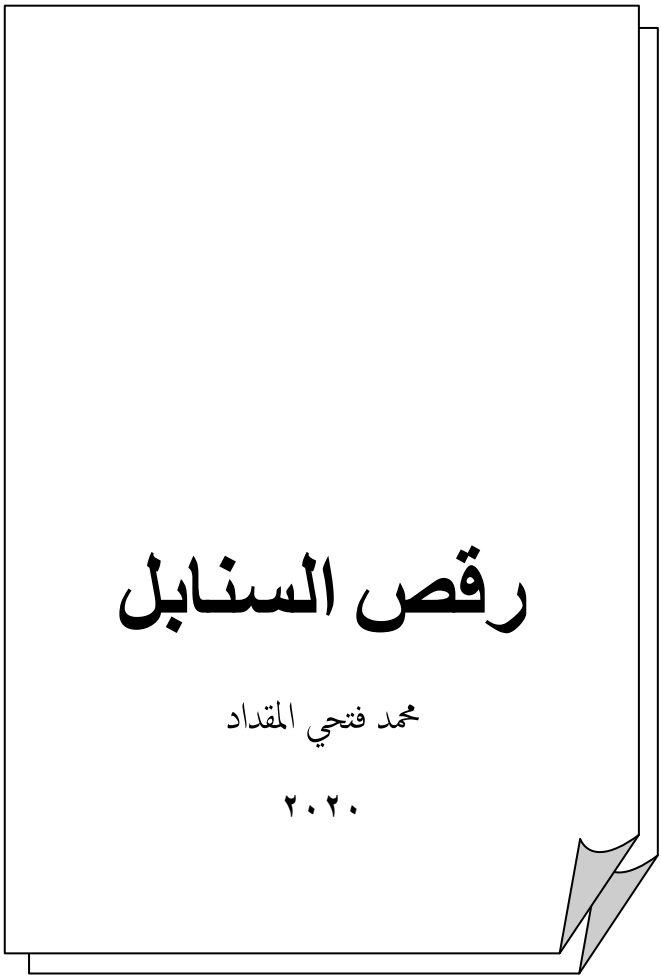

رقص السنابل

محمد فتحي المقداد

٢٠٢٠

الروائي محمد فتحي المقداد

رقص السنابل

من ذاكرة حوران تراث

المقدمة

الحمد لله، وأفضل الصلاة والسلام على سيّد المرسلين، محمد وآله وصحبه أجمعين.

في مرحلة سابقة ابتدأت من ٢٠١٠ إلى عام ٢٠١٥، كنتُ قد كتبتُ هذه الأبحاث والمقالات التراثيّة التوثيقيّة، تظافرت أسبابها عندي بما جعلني أُكتب ما سمعت، وما تتبعت من ألسنة النّاس من التراث الشّفاهي، والاشتغال عليه لجعله مادة مقروءة، سهلة التناول للقارئ.

التراث ليس ترفًا نلجأ إليه، ولكنّه ميدانًا واسعًا فسيحًا لذوي الهمّة من الدّارسين الأكاديميين والهواة، لتوثيق ما يستطيعون، التراث هويّة الشّعوب ورثته، وأخذته جيلًا عن جيل، وأبًا عن جدّ.

وهو نوع من أنواع المقاومة في وجه التغيرات السّريعة، التي تعصف بمجتمعاتنا عامّة، وذلك للمحافظة على ثوابتنا القيميّة، حتى لا تفقد الأجيال الحاليّة والقادمة صلتها وروابطها بماضيها وتاريخها، فالصّراعات كثيرًا ما تدور من أجل التّاريخ وعلى التّاريخ، كما حدث مع الحركة الصّهيونيّة، وصراعاتها لإثبات جذورها في فلسطين، التي احتلّت أرضها وطردت شعبها، ولم تكتف بذلك بل لجأت بكافّة السُّبُل المُتاحة لسرقة التراث الفلسطينيّ، وتجريد أهله وصانعيه منه.

في بلاد الشّام تتشابه الكثير من الحالات التي دوّنتها في كتابي (رقص السّنابل)، لذلك كنتُ أركّز على (أهل حوران) حصرًا؛ لتفادي اختلافات الكلام ومؤدّاها، فما هو سائد هنا غير معروف هناك، فكلّ منطقة جغرافيّة سمة تختلف عن الأخرى. (من بصرى الشام إلى إربد).

عمّان – الأردن ـا ١١٧ \ ١٦ \ ٢٠٢٠ المؤلف الروائي محمد فتحي المقداد

مفهوم التراث

عمومًا

كأجيال تقوم بفاعليتها الحالية في الحياة، ولم تكن مقطوعة الصّلة بماضيها، الذي ورثته عن الآباء والأجداد، وهذا التواصل مع الموروث اتخذ أشكالاً شتى، منها المدرسة الإبائية التي تقدس الآباء والأجداد وأفعالهم وأقوالهم، كما هي إن كانت على حقّ أو صواب، دون تدقيق وتمحيص.

لكننا إذا نظرنا إلى التراث باعتباره جزءًا حيويًّا، وهامًا من حياتنا، ليس لنا من تقديسه شيء، بل نتخذ منه العبرة والعظة الحسنة؛ لمحاولة المزاوجة مع الواقع المتبدل السريع، وجسر عبور

للمستقبل، بما يحفظ لنا هويّتنا، وخصوصيتنا العربية والإسلامية، لأن اقتحام هذه الخصوصية بفجاجة من قبل العولمة الوافدة، بأنماطها الكثيرة، متلبسة بأدوات الحضارة وتقنياتها.

التراث مجال خصب، وكبير لعمل دراسات لتوثيقه، وتأصيله بما يمكن أن يكون قاعدة بيانات تأريخية ، لدارسي المستقبل، والمتخصصين في التأريخ ودراسة المجتمعات من عادات وتقاليد، وأنماط معيشية ومنظوماته الأخلاقية والاعتقادية، التي اندثر وانقرض الكثير منها. يعتبر الموروث الشعبي نواة تاريخية لأنه في التحليل الأخير يعني (القراءة الشعبية للتاريخ)، أي أنه يحمل تفسيرات شعبية لأحداث تاريخية، تحكي عن "أبطال تاريخيين" من خلال الرؤية الشعبية التي تحمل من الخيال والرموز التي تخدم الأهداف الاجتماعية الثقافية ما يجعلها تختلف عن أية قراءة.

تستخدم مواد التراث الشعبي والحياة الشعبية في إعادة بناء الفترات التاريخية الغابرة للأمم والشعوب والتي لا يوجد لها إلا شواهد ضئيلة متفرقة وتستخدم أيضا لإبراز الهوية الوطنية والقومية

والكشف عن ملامحها التراث والمأثورات التراثية بشكلها ومضمونها أصيلة ومتجذرة إلا أن فروعها تتطور وتتوسع مع مرور الزمن وبنسب مختلفة وذلك بفعل التراكم الثقافي والحضاري وتبادل التأثر والتأثير مع الثقافات والحضارات الأخرى وعناصر التغيير والحراك في الظروف الذاتية والاجتماعية لكل مجتمع، علاوة على ما تقدم، يعتبر التمسك والتدوين، وحفظ التراث مقاومة شعبية عصية في وجه هجمة العولمة التي تقتلع كل شيء، وتعمل على تغيير قيم المنظومات الاجتماعية من داخل المجتمعات بحيث تتفكك البنى القِيَميّة، وتجعل تلك المجتمعات عُرْضة للاجتياح الفكري والثقافي متأثرة، بالأنماط السائدة في الأمم المسيطرة على ثقافات العالم في الوقت الراهن.

التاريخ الشعبي:

يتضمن مختلف أنماط الإبداع التلقائي للشعوب والجماعات، سواء كانت بدائية أم متحضرة، يشتمل على كل ما تمّ إنجازه عن طريق استخدام الأصوات، والكلمات في أشكال نثرية، أو غنائية

شعبية أو غناء أو حكاية أو سرداً حسب الاعتقادات الشعبية أو العادات والتقاليد أو الخرافات، والحكايات التي تبرر سلوكاً اجتماعياً أو نظاماً أخلاقياً. هو نمط من القراءة الشعبية للتاريخ، وهو ما يعني أنه رؤية الجماعة لتاريخها، ولدورها في صنع هذا التاريخ بغضّ النظر عن التفاصيل التي تتعلق بالزمان أو المكان أو أبطال الحكاية التاريخية.

وتتكون مادة الموروث الشعبي من التاريخ الشفاهي للمجتمعات ذات الثقافة الشفاهية. فإنه يشتمل على كل ما تمّ إنجازه عن طريق استخدام الأصوات والكلمات في أشكال نثرية أو غنائية شعبية أو غناء أو حكاية أو سرداً حسب الاعتقادات الشعبية أو العادات والتقاليد أو الخرافات، والحكايات التي تبرر سلوكاً اجتماعياً أو نظاماً أخلاقياً، يتسم بالبساطة والتلقائية.

(وقد مكث المؤرخون زمناً طويلاً متجاهلين الموروث الشعبي، أو القراءة الشعبية للتاريخ بروح من التعالي والغطرسة التي جعلتهم

يشيحون بوجوههم عمّا ظنوه ضرباً من ضروب العبث والخرافة التي تناسب عقول العامة وإدراكاتهم).

تعريف التراث:

على ضوء ما تقدم بإمكاننا استقراء تعريف للتراث، يكون جامعاً للمعاني التي تقدم ذكرها: التراث يكون هو خلاصة تجربة حياتية للأجيال السابقة، انتقلت للأجيال اللاحقة، عن طريق الشفاهية، بما تحمل من أنماط معيشية وأخلاقية ومعاملات مختلفة واعتقادات وذكريات، ويحمل تفسيرات شعبية لأحداث تاريخية، تحكي عن "أبطال تاريخيين" من خلال الرؤية الشعبية التي تحمل من الخيال والرموز التي تخدم الأهداف الاجتماعية والثقافية.

مواد التراث وأقسامه:

أولًا - **المعتقدات والمعارف الشعبية:** ومن أهمها ما يتعلق أو يشاع عن الأولياء، الكائنات الخارق (فوق الطبيعية)، السحر، الأحلام،

الطب الشعبي، حول الجسم الإنساني، حول الحيوان، حول النباتات، الأحجار والمعادن، الأماكن غير المأهولة، الزمن وعلاقته بالظروف السائدة، الأوائل والأواخر، الاتجاهات، الألوان، الأعداد، الروح، الطهارة، النظرة إلى العالم، السلوك الفردي والجمعي في المناسبات المختلفة العادات والتقاليد الشعبية

ثانياً -<u>التقاليد الشعبية</u>: العادات الشعبية ظاهرة تاريخية ومعاصرة في آن واحد وهي حقيقة من حقائق الوجود الاجتماعي التي تتعرض لتغير وتجدد دائمين تبعا لتجدد الحياة الاجتماعية واستمرارها.

ثالثا -<u>الأدب الشعبي</u>: من أبرز موضوعات التراث وأكثرها عراقة، ومن المسميات التي تطلق عليه: الأدب الشفاهي، الفن اللفظي، الأدب التعبيري.

<u>من أنواع الأدب الشعبي</u>:

الأمثال والألغاز والنداء(كالتبليغ عن الأموات) وطلب المعونة والسؤال عن أشياء ضائعة وتدليل الباعة على تجارتهم مما لها من ألغاز ومن قصص أبو زيد والزير والبطولات الخارقة، وفي النوادر المضحكة أو المحزنة لبعض الأشخاص، والحكايات التي تتضمن سَيْر الحياة اليومية وما مضى منها، وكانت تقام في نهاية كل عرس تمثيلية يقوم بأدوارها بعض الأشخاص، الذين يتحلّون بروح الدّعابة، وخفة الظل، وكذلك الأغاني، والأهازيج الشعبية، والتي تتوزع أنغامها بحسب المناسبة، كالأعراس والطهور وفي الحصاد والموت والرثاء والحداء للإبل، وأغاني الرعاة وهم في البرية، والتي تكون مصحوبة عادة بالشبابة أو المجوز وأغاني الفزعة في بناء البيوت أو الأعمال الزراعية الأخرى، وفي مواسم الصيف تطيين البيوت .

تفاصيل الحياة الريفية في حوران من أسطورة وخرافة وثقافة مادية وفنون شعبية كالرقص في الأعراس والمناسبات العامة، ورقصة الحروب ووقفة الرجولة، وموسيقاه الدّالة على المناسبة،

موسيقى النداءات والمدائح والابتهالات والأناشيد والسير، وكان الدف والطبل والربابة، وحنجرة الشاعر الذي يؤدي قصائده مع الربابة، والتي تُحفَظ بسهولة من السامعين، لمحاكاتها الواقع بكل تفاصيله، والرقص على نوعين للمناسبات، وفردي يكون في الأعراس، والمناسبات العامة.

وهناك الرقص المرتبط بالمعتقدات (كرقصات الطرق الصّوفيّة) مترافقة مع الطّبول والدّفوف والصُّنوج والبخور مع الإنشاد الديني.

فنون الألعاب الشعبية:

وتشمل: فروسية، ألعاب السيف والمبارزة، وغير ذلك من ألعاب البدريس(السّيجي)، والشّكّة قطعة حديد مدببة الرأس تضرب في الأرض الرطبة والطرية)، وألعاب المازات (الدحادل الزّجاجيّة) والكّعاب (مفاصل الحيوانات الصغيرة كالخراف والماعز)، وحمارتنا الطويلة والخبّاية (الطُمّيمَة -كمّستير)، واللعب بالطين وبناء البيوت، وصناعة ألعاب الأطفال من بقايا الملابس العتيقة

الأعواد، والبلابل الخشبية وصناعة الطائرات الورقية والصيد بالأفخاخ الحديدية والنُّقيفات، وغير ذلك.

فنون تشكيلية شعبية:

العمران الشعبي والبناء على طريقة الفلاحين في الأرياف ونحت الأحجار، صناعة أفران الفخار والخوابي وعمل النقوش عليها صناعة البسط الصوفية والوسائد وجماليات تشكيلها، ونسيج الكنزات الصوفية، والصناعات الخشبية من الأبواب والشبابيك وأعواد الحرث (المحاريث) والغرابيل وألواح الدِّرَاس، وكلّ أدوات الفلاحة على مختلف أصنافها، وأدوات خَضّ اللّبن (الشِكْوَة، والجُفْ، والسِّعنة، والعُكّة)، وأعمال الطين للغرف والاعتناء بغرفة العروس والرفوف الطينية أو الخشبية، وكذلك خياطة الملابس على خلافها، والعناية الفائقة بألبسة النساء كالتطريز بالألوان الزاهية بتشكيلات مختلفة(فيما يسمى الكَنَوِيْشَة، والشُّرْش

المُرَقّم، والتطريز على المخدات والوسائد التي تستخدم للنوم فقط) والقيام بأعمال تبييض الأدوات النحاسيّة كلّ سنة، كذلك نقوش الزينة كالحناء والكحلة، وصناعة المكحلة الجلدية وتحضير الكحل، وعمل المونة السنويّة، وحفظ الأطعمة، وغير ذلك، مما خانتني ذاكرتي بتسجيله. المعذرة!!

المرجع (كتاب إعادة قراءة التاريخ -د -قاسم عبده قاسم)

الاعتقادات الشعبية الأسطورية

(عند أهل حوران)

الريف بشكل عام لا يزال واقعاً تحت تأثير المعتقدات الشعبية، وهي تتفاوت من شخص لآخر ومن ومجتمع لآخر، وكذلك هناك تأثير للكثير من الخرافات المتوارثة يتداولها الناس، وتحتل قسماً كبيراً من تفكير بعض الناس ويعتقدون بصحتها وتأثيرها في حياتهم. و يقال بأن ٧٥٪ من أمراض الناس هي أمراض نفسية، رغم أن كثيراً من الأشياء التي سأتناولها في هذا المقال ليست علاجاً بل لما لها تأثير نفسي يعتقد فيه من يعتقد بنفع أو مثل تلك

الأشياء، ومن يقوم بذلك بكل تأكيد سنطلق عليه اسم بائع الأوهام. بعمل يبتز به الأشخاص من خلال الأموال الكثيرة التي يأخذها لقاء تلك الأعمال، وكثيراً ما تتعرض بعض النساء للابتزاز الجنسي من خلال المصيدة التي يقوم بها هؤلاء الذين لا يخافون اللّه فينتهكون الحرمات .

- **التمائم**: فالتمائم هي ما يعلق على الشخص المصاب بشيء من مس أصابه فمن ذلك الخرزة الزرقاء و التي يعتقد بها بعض الناس أنها ترد العين، وكذلك وضع القلائد في العنق التي تحتوي على بعض العظام من رقبة بعض الحيوانات خصوصاً من رقبة الذئب.

- **خرزة الكبسة**: هي خرزة كبيرة نسبياً وهي ذات لون داكن من بين الأخضر والبني، تضعها المرأة الولاّدة بطرف منديلها أو الإيشارب الذي ترتديه على رأسها، بعد عملية الوضع، لأنه يعتقد أنه إذا دخلت امرأة عليها العادة الشهرية فإنها تكبس الولاّدة وذلك بتأخير نزول مرفقات المولود أو أن تتسبب لها ببعض المتاعب والآلام الغير معتادة

- **الحجب**: يعتقد كثير من الناس بأهمية الحجب التي يكتبها الشيوخ الذين هم يعملون مثل تلك الأشياء، لمن يطلبها لمريض أو مصاب بمرض نفسي أو رصد من الجن. أو للبنت التي تأخرت عن سن الزواج ولمن أصبحت علاقتها بزوجها غير حسنة فيكتب للمحبة، وكذلك لمن أراد أن يكيد للآخرين بتفريق العلاقة بين الأزواج، فمن الحجب من تتعامل بالآيات القرآنية، ومنها ما يتعامل مع الطلاسم المحرمة.

- **السحر**: حيث يقوم بهذا العمل فئة من المشايخ ذوي النفوس الضعيفة التي تريد فقط جمع المال، وهم يعملون السحر عن طريق كتابة الأوراق التي يطلبون من أصحابها إذابة الكتابة بالماء وسقيها للشخص المستهدف منها، ومن السحر بوضع قطعاً من الحيوانات الميتة ومن قطع الثياب من الشخص المراد سحره ومن شعره ومن ذلك ما يسحق من هذه السموم ووضعها مع الطعام مما تسبب ذلك بموت الكثير من الأشخاص أو إصابتهم بمرض مزمن غير معروفة أسبابه للأطباء إذا عرضت عليهم الحالة ممن ووضع

لهم هذا الطعم. أو يطلبون منهم وضع هذا السحر في بيت عتيق في أحد جدرانه أو في قبر دارس أو تحت أنقاض، بحيث لا ينكشف أمره ويفسد.

- **الرُّقْيَة**: وهي قراءة القرآن أو بعض الأدعية على من يصاب بالتعب أو وجع الرأس فيعتقد أنه أصيب بعين من أحد الحاسدين، فمن ذلك مطلوب ممن رأي مثلاً طفلاً جميلاً بحركاته الخفيفة أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم، والذي يقوم بعميلة الرقية تلك إما امرأة أو رجل يعتقد الناس بصلاحه، وهناك من يدعو بأشياء لا صحة لها إنما هي أقوال موروثة عن جهل دون تمحيص.

- **درج السبعة**: حجاب يكتبونه للمرأة الحامل عندما تصبح في الشهر السابع، ويعتقد كثير من الناس أن هذا الحجاب ينفع في أن يجعل المرأة الحامل في مأمن من الخطر حتى تضع حملها.

- **اللّجِمْ (التحويطة)**: فالشخص الذي تضيع له دابة في البرية، وخوفاً عليها من أن تأكلها الوحوش الكاسرة، فيقوم ذلك

الشخص بإرسال سكينة صغيرة لا يتعدى طولها عن ١٠ سم تسمى (ريشة) باللهجة المحكية و تنطوي على نفسها ، إلى أحد الأشخاص الذين يطلقون عليهم تسمية شيوخ، فيقرا الشيخ عليها تعويذة خاصة في ذلك المقام، وينبه على الشخص بأن يخفي السكين في مكان خفيّ ويجب أن تبقى مغلقة ولا يجب عليه أن يفتحها حتى تظهر تلك الدابة التي لم تفترسها الوحوش أو إذا كانت ميتة فإن الوحوش لا يمكنها أن تقترب من الجثة.

- **طاسة الروعة**: وهي إناء صغير مذهب أو بلون الفضة مكتوب في داخلها آية الكرسي وفي وسطها مجموعة من الشناشيل الناعمة على شكل مربع أو مثلث أو أي شكل آخر مكتوب عليها كلمة اللّٰه، فمن أصيب برعب أو خوف يسقونه بها شربة ماء يعتقد أمها تهدئ روعه وتزيل اضطرابه أو خوفه.

- **القلائد**: التي توضع في رقبة الأطفال وهي على شكل هلال بلون ذهبي أو فضي مكتوب عليها آية الكرسي ، ومن ذلك على شكل كف ذهبي صغير توضع معه بعض الخرزات الزرقاء لطرد

العين والحسد. ومنها كف من خرز أزرق كان يربط بشعر الطفل بشكل دائم ليحفظه من العين والشر والحسد.

- **قلادة خاصة للبيوت** الجديدة والكتابة على قشر البيض بعض الطلاسم والآيات القرآنية بعد أن تثقب البيضة من جهتين ثقباً صغيراً وتفريغ محتوياتها ومن ثم يكتب عليها وبعد ذلك يوضع خيط في الثقب و ويعلق فيه مجموعة من الخرز الأزرق أو الملون أو وضع فردة حذاء صغيرة وخصوصاً إذا كانت حمراء يعتقد كثير من الناس أن ذلك يصد العين والحسد

- **المندل**: وهي طريقة يعلمها بعض المشايخ حيث يحضرون الجن من خلا ل قراءة شيء من القرآن والطلاسم والأسماء الغريبة ومن خلال ذلك يكشفون عن أماكن الكنوز المدفونة في باطن الأرض أو الدلالة على غرض مسروق للكشف عن مكانه .

- **قراءة الكف**: وهي من العلوم التي يقوم بها بعض من الناس الذين تعلموا أسرار ذلك من خلال معرفة حال الشخص وما يفكر فيه وما يخبئ له الحظ في المستقبل.

(كذب المنجمون ولو صدقوا)

- **قراءة الفنجان**: ويقوم به بعض الناس سواء رجال أو نساء من خلال تفسير بعض الخطوط التي تتكون بعد أن تقلب فنجان القهوة الحلوة بعد الانتهاء من شربه حيث يبقى بأرضيته تفل القهوة وقارئ الفنجان يبني على تلك الخطوط قصصاً وروايات.

(كذب المنجمون ولو صدقوا).

- **البصّارة أو التبصير**: ويقال لها أيضاً (الخطّاطة) لأنها تقرأ خطوط الحظ، و هذه المهنة التي تقوم بها المرأة الغجرية (النورية)، وتعتمد على بعض الحصى وقطع صغيرة من عظام الحيوانات وكذلك بعض الأصداف البحرية الصغيرة حيث تجلس تلك المرأة على الأرض وتخرج ذلك الكيس القماشي الصغير وتنثر ما فيه

أمامها، وتبدأ بنسج قصص خيالية يجود به ذكاؤها وتحكي طبعاً بشكل عام عن رزق سيأتي أو غائب في سفر سيعود وعن شاب قادم للزواج وهو فأل خير لفتاة لم تتزوج بعد وعن بنت جميلة ستكون عروساً لشاب لم يتزوج أو أي شيء سيحدث في ذلك البيت أو للأسرة و هي تقوم بالتحذير من الحظ الأسود القادم.

- **التنجيم**: يقوم به المنجم الذي يعرف علم النجوم ومنازلها ومن خلال ذلك يقوم بعملية حساب على طريقة أن لكل حرف رقم، ويأخذ اسم الشخص واسم أمه ويقوم بحساب القيمة التي تساوي تلك الأحرف ويقوم بتفسيرها.

-**التبييت**: تقوم بعض النساء بأخذ مثلاً غطاء رأسها أو أي قطعة قماش مما يخصها، لشخص يقال له شيخ، يقوم بوضع قطعة القماش أو الغطاء تحت وسادته ويكون حلمه متناسباً مع متطلبات تلك المرأة، فتأتيه في اليوم الثاني لتجلس و يحدثها بما رأى في منامه لها، بشكل طبيعي بعد أن تكون قد قصت عليه مشكلتها و أزمتها.

- **إخراج الجن من الجسد**: كثيراً ما يصاب بعض الناس بأمراض نفسية فتشخص حالتهم من قبل الدجالين على أنهم مصابون بمس من الجن يحتاج للبخور والقراءة من خلال تحضير الجن والقيام ببعض الأفعال الخارقة أو المجيء ببعض الأخبار الخاصة من حياة ذلك الشخص، ولكن المصيبة تكون أكبر إذا المريض أنثى حيث يشترط على أهلها أن يخلو بها حتى يستطيع أن يخرج الجن منها ، ومن خلال تخديرها يقوم بالاعتداء عليها وكثيراً ما أنشأوا شبكات للدعارة من خلال تلك الأفعال الشنيعة و والوضيعة.

-**سكب الماء في عتبة الغرفة**: للوقاية، أو الصوت العالي الصراخ، هو مما يزعج الجن حيث أمهم يلمسون الشخص، أو الطفل مما يجعله يصاب باللقوة، هو ميلان أحد الخدين مع العين، والفم باتجاه آخر، وكثيراً ما كان يلجأ أهل من يصاب بذلك إلى الشيوخ لمعالجته من مس الجن بواسطة البخور وقراءة القرآن مع الضرب على الجسد والوجه بحذاء لطرد الجن من جسمه. ولاتّقاء

ذلك كان على من يسكب الماء ليلاً وخاصة يومي الإثنين والخميس أن يقول دستور، وهو طلب الإذن من الجن(بسم الله الرحمن الرحيم، دستور يا أصحاب المكان أو المطرح). (وضع مكنسة بعتبة الغرفة إذا الطفل يجلس وحده في الغرفة، كانوا يعتقدون أن هذه المكنسة تعمل على حفظ الولد).

- **كسر حاجة**: مثل كأس زجاجية أو فنجان قهوة أو صحن، إذا كانوا لا يرغبون في عودة ذلك الشخص إليهم ثانية.

- **الدق على الخشب**: للفت الانتباه عن شيء فيه خير شخص لكي لا يصاب بالحسد عن طريق العين.

-**صفير الأذن** (صياح الأذن): في بعض الأوقات يعقد بعض الناس أن آخرين قد ذكروهم إما بخير أو سوء.

- **حكة الكف**: الكفّ الأيمن كناية عن أنّه سيسلّم على شخص قدم، في اليسرى كناية أنّ سيمسك مالًا غير منتظر.

- **حكة الرجل**: يعتقد بعض الناس أنهم سيسافرون.

- **حكة الأنف**: يعتقد من يصاب بحكة على ظاهر أنفه أنه سيأكل وجبة من اللحم.

- **رؤية الغراب الأسود**: تدل على التشاؤم وحدوث ما لا تحمد عقباه.

❖❖❖

العين والخرزة الزرقاء

كثيراً ما تنعكس بعض الاعتقادات الشعبية على حياة المجتمع وتحديد أسلوب التعامل فيما بين أفراده. فالذين يصابون بوجع الرأس والصداع المفاجئ تعزى أسبابه لدى عامة الناس إلى عين أحدهم المصحوبة بالحسد وزوال النعمة عن صاحبها تكون قد أصابته، وخصوصاً لذوي النعمة أو ممن يلبس الجديد أو زينة النساء من الحلي الظاهرة على أيديهن، والنساء هن الأكثر تأثراً بهذه الاعتقادات وتعرضاً للإصابة بعين الحسّاد، الحاسد ممكن أن يكون ذكراً أو أنثى على حد سواء.

وقد تحدث حالات هلع وفزع من الحسد لدى البعض فيسعون بكل ما أوتوا لاتخاذ الأسباب لصدّ خطر ذلك ، وقد اتخذوا من "الخرزة الزرقاء" تميمة تعلق على الصدر أو في صدر الغرفة، حتى أن الزرقة الزرقاء كانت وما تزال تدخل في بعض المصوغات

الذهبية كالكفّ التي كانت توضع على صدور الأطفال أو تربط مع شعر رأسهم، وكآية الكرسي التي تعلّق أيضاً. أو توضع خرزة زرقاء من قشرة بيض تامة وكاملة مكتوب عليها بعض الآيات القرآنية في مداخل البيوت وخاصة الجديدة المنزل، ويعتقدون أنها تصدّ عين الحاسد عن ذلك البيت وأهله.

ومن تلد طفلاً من بعد عدد من البنات، أو تأخرت عن الإنجاب، فإنها تلجأ إلى تسميته مثلا باسم لا يحمل معنى جميلاً مثل (شحدة – شحادة – شحّاد) ويعلقون الخرزة الزرقاء و لا ينال حقه من النظافة الكافية حتى تبتعد عنه الأنظار ولا يصاب بالعين و التي ربما تكون قاتلة، حتى قالوا: (إن العين تأخذ حقها من الحجر).

كثيرة هي الأقوال في مجال العين، فمن ذلك على سبيل المثال(عينه فارغة) و (عين الحسود فيها عود) و(العين تأخذ حقها من الحجر) و(ترافق إللي سنانه فُرُدْ وعيونه زُرُق) و(طرقوه عين) أو(طرقته عين).

ومن رأى وجهاً حسناً أو طفلاً جميلاً أو لباساً فإنه يجب أن يصلي على النبي(صلى الله عليه وسلم) حتى لا تصيبه عينه.

ومن الناس من إذا توجهت عليه العيون في المجلس فإنه يقوم ويقرع بيده على الخشب أو أن يقلب الحذاء في عتبة الغرفة، اعتقاداً منه أن ذلك يدرأ خطر العين. وخشية من الذين اشتهروا بأنهم يصيبوا الناس بأعينهم، فإن الناس يتجنبونهم و يتحاشونهم قدر المستطاع، ويتشاءم من يلتقيهم كما يتشاءمون من البوم لِسَعَةِ عيونه. و لما يدل صوته على الأماكن المهجورة والخراب، فيقولون: "**إلحق البوم يدلّك على الخراب**".

يحكى أن شخصاً أعمى كان في بصرى الشام، فتحدثوا أمامه عن إبل للبدو قد وردت على المرج، فقال لهم: ما رأيكم أن تأكلوا من لحمها. فأمر أحدهم أن يجمع له من التراب بحجم سنام الجمل، ووضع يده عليه، وقال: " بَلْ " بفتح الباء وتسكين وتفخيم اللام، بعد ذلك أمرهم أن يذهبوا ليجلبوا من اللحم الذي عثر وكاد أن يموت فلحقه الراعي بالذبح قبل موته و توازعوا لحمه.

والرقية تكون من نساء معروفات في القرية آنذاك، كالحجة فلحة، والحجة خزنة، الحجة طلّة، والحجة عاشة المحيميد، كنّ مشهورات بالرقية والتطبيب والتوليد على طريقتهن الموروثة عمّن قبلهن؛ فعندما تبدأ إحداهن بالرقية للموجوع فإنها تضع يدها على جبينه وتبدأ تقرأ كلاماً غير مفهوم مصحوباً بالتثاؤب ونزول الدموع من الراقية، وذلك كناية عن الإصابة بالعين كانت قوية، ويترافق ذلك من التبخير بقليل من شعير المولد الذي يحتفظ به كدواء مبارك من بركة المولد أو ذكر اللّه و الرسول، وذلك أثناء حفلة المولد، حيث توضع كمية من الشعير ويرش فوقه ملح الطعام الخشن في إناء كبير وبعد انتهاء المولد يتوازعون ذلك الشعير، كلٌّ يأخذ حفنة منه أو أكثر، لحين حاجتها في مثل هذه الأشياء.

❖❖❖

القمح في ذاكرة حوران

يعتبر القمح هو المحصول الرئيسي الذي تنتجه حواران التي تعتبر سلة غذاء وصمّام أمان للبلاد غذائياً، حيث تعتمد على زراعته على مياه الأمطار(الزراعة البعليّة) في معظم نواحي حوران، ما عدا قسم قليل من أراضيها مروية، ويعتبر قمح حوران من الأصناف الممتازة في صناعة المعجنات والحلويات لقساوة لبّه، وهو معدّ للتصدير، وقد قيل قديماً:" حوران أهراءات روما". أي خزان ومستودع الغذاء، لما تختزن فيها من الخيرات والخصب والنماء.

طقوس الموسم:

يتأخر حصاد القمح إلى منتصف الصيف حتى تصفّر كامل النبتة، ويصبح كالذهب المتلألئ الذي تتباهى به العروس الجميلة،

وتمتد فترات الحصاد كثيراً إلى ما بداية تشارين، وذلك في سني الخير.

والبيادر هي الميدان الثاني بعد الحقول والأراضي التي تستهلك كثيراً من الجهد لاستخراج حبة القمح.

بالطبع كان الفلاّحون يبيعون قسماً من إنتاجهم للتجار لسداد حاجياتهم المعيشية ويحتفظون بحاجتهم للمونة تكفيهم أيام السنة حتى يحين الموسم الجديد.

والذي يهمنا هنا هو القمح المعدّ للأكل والطعام: في الصيف حيث الدفء والشمس تقوم النساء بعملية تصويل (الصّويل) أي تنقية القمح من الشوائب بواسطة المياه، وهذه العملية تحتاج للفزعة والمعونة من الأهل والجيران والأقارب، بعد هذه العملية ينشر القمح المُصَوّل على أسطح المنازل المجبوسة بالطين الأحمر والملساء يأخذ منظرها بالقلب لجماله. وذلك من أجل تجفيف القمح للحفاظ عليه خوفاً من فساده لأن فترة التحزين في الكواير وهي مفرد كوارة،

حاضنة (حافظة) كبيرة مصنوعة من الطين بشكل مستطيل ترتفع للأعلى لها فتحة من الأعلى وفتحة من الأسفل التي ينزل منها القمح بمجرد فتحها. بعد تنزيل الصويل عن الأسطح تأتي مرحلة السرّب و هو التنظيف بواسطة اليد وهي عملية متعبة ومضنية لأنها بالحاجة للجلوس الطويل ولعدة أيام.

والغرفة التي تكون بها الكوارة، ويخزن بها القمح وباقي الحبوب، يسمى بيت الخَرِجْ أو المونة.

كانوا عندما يحتاجون للطحين يفتحون باب الكوارة ويستخرجون حاجتهم يعبئونها في أكياس القنب والخيش ويأخذونها على ظهر الحمير للمطحنة التي كانت تدار بالرحى قبل ظهور محركات الديزل.

ومن القمح يكون الخبز، وكافة أنواع المعجنات والحلويات بأنواعها المختلفة والكثيرة. ومن ذلك:

❖**الفريكة:** يجنون القمح الأخضر عندما تمتلئ سنابله ويشوونه بالنار، بعد ذلك يجمعون السنابل المشوية المحروقة القشور الخارجية، ويقومون بفركها بالأكفّ، وتحضيرها لاستخراج حبات القمح الجميلة بلونها الأخضر الموشح بالسواد، ويجرشونها حتى تصبح حبيبات كالبرغل، وأكلة الفريكة مرغوبة جداً وخاصة في المناسبات، ويضربون المثل في ذلك بقولهم: (ديك وفريك) أي أنها وجبة معتبرة لضيوف أعزاء.

❖**البرغل:** يقومون بسلق القمح أولاً حتى ينضج ويطيب بواسطة أواني كبيرة جداً معدة لمثل تلك الأعمال تصطف على موقد، توقد فيه الجَلّة و الحطب، وهذه المرحلة يسمونها سليقة، وهي مرغوبة للأكل ساخنة ومنهم من يرش عليها قليلاً من السكر، وفي غير هذه المواسم يسقلون للأطفال الصغار حتى تنمو الأسنان الأولى في أفواههم، وهو طقس متعارف عليه يأخذ طابعاً احتفالياً، ويوزعون السليقة على الجيران في الحارة، وبعد مرحلة السلق للقمح ينشر على أسطح المنازل المجبوسة بالطين الأحمر حتى يجف جيداً وتخرج

الرطوبة و بعد ذلك يخضع القمح الذي أصبح سليقة لعملية سَرْبِ وتنظيفه بدقة وتحضيره للمرحلة القادمة التي يصبح فيها برغل بعد جرشه.

❖**البرغل المجروش**: على نوعين الخشن وهو البرغل الذي يصلح للطبيخ والناعم قليلاً وهو الرفيعة والتي تستخدم من أجل الكباب المحشية، ويعتبر البرغل هو الطعام الرئيسي للفلاحين فيما مضى وقد قالوا عنه: (البرغل مسامير الرُّكَبْ)❖ أي يعطي الطاقة والقوة للجسم وهناك بعض الناس من فضلوا الأرز على البرغل، وقد قالوا في ذلك: (**العز للرز، والبرغل يشنق حالو**) رغم أن لكل نوع منهما مذاقه الخاص، ومن البرغل انبثقت مجموعة من الطبخات والأكلات وهي:

❖**المجدّرة:** أكلة شعبية منتشرة على نطاق واسع، ويطلقون عليها مسامير الركب لأنها تمد الجسم بالقوة ، وهي مكونة من البرغل والعدس الأحمر الصحيح، حيث يطبخان غي آنية واحدة وبعد

النضج تفرد في غناء واسع ويوضع على وجهها البصل المقلي بزيت الزيتون الأصلي.

❖**المليحي:** وهو وجبة رئيسية وخاصة في كافة مناسبات أهل حوران، والمنسف الحوراني مشهور، وهو رمز الكرم و الضيافة العربية الأصيلة، والمليحي هو طبيخ البرغل المطبوخ بمرق اللحم بعد ذلك يوضع في المناسف(أواني نحاسية واسعة) بعد دعكه حتى يتجانس ويفرد على كامل المنسف ، ومن ثم يوضع على وجهه قطع وكردايش اللحم الناضج والكبة المقلية والمرق من لبن الجميد(الكشي) وأخيراً يصب السمن العربي والمسخن جداً حتى يصدر له صوت(الطشطشة) .

❖**الكشك:** برغل يطبخ حتى ينضج ثم يوضع فوقه اللبن الرائب وذلك لعدة وجبات وعدة أيام، ويمزجونه حتى يتجانس مع الملح، وفي كل يوم يخلط حتى يتشرب البرغل اللبن، بعد ذلك يكون جاهزاً للتجفيف في الشمس بعد أن يضعونه على شكل قطع كأقراص وذلك حتى تذهب رطوبته ويصبح جافاً، بعد ذلك

يفركونه، يجعلون منه قسماً خشناً مخصص للفطائر، وقسم يطحنونه حتى يصبح كالطحين ويطبخ كالشوربة، وخاصة في أيام الشتاء .

❖❖❖

❖الخبز و المعجنات في حوران:

- **خبز فرن التنور** وهو الرغيف السميك قليلاً وقطرة ما بين ٣٠ -٤٠سم، بينما هناك النوع الآخر والأقل شيوعاً

- **خبز الشراك** الرقيق الذي يتماثل مع الورق في رقته البعض يطلق عليه اسم الرقاق، وهذا الذي شائعاً في بيتنا.

- **الطراميز** قديماً وقبل أجيالنا كان الفلاحون يأكلون خبز الشعير والذي يطلقون عليه طراميز وذلك في سني القحط والجفاف التي لها التأثير الكبير على حياتهم التي صبغت بالقسوة .

- **القراص** (خبز العيد) وبالطبع لخبز العيد الذي ننتظره بفارغ الصبر مذاق وطعم خاص ولا يصنع هذا النوع إلا في الأعياد كعيدي الفطر والأضحى حيث يوزع على الأهل والجيران والأصدقاء، وهذا متبع كعادة حيث كل البيوت لا بد لها أن تخبز لتقوم بإرسال مجموعة من الأرغفة ومعها علب الراحة للأرحام وهي فرصة للتواصل فيما بين الأهل، ولكن هناك بعض البيوت لا تصنع خبز العيد ، وذلك عندما يكون الحزن قد حل بديارهم بسبب وفاة أحد أفراد العائلة فمن باب الحداد عليه لا يخبزون القراص والذي هو في نوعيته يختلف عن الخبز المعتاد في الأيام العادية من حيث مواد الأولية التي تضاف للطحين كحبة البركة والسمسم و الشومر واليانسون، وبعد تقطيع العجين يطبع على قالب خاص فيه نقوش ويدهن قليلاً بالزيت

ومن ثم يوضع في الفرن لتقلعه الخبازة بواسطة تلك القطعة الحديدية المعقوفة الرأس وتسمى المقلاع، وبعد أن تخرج الخبز تكون هناك امرأة أخرى تدهن الخبز بزيت الزيتون الأصلي وتنسقه.

❖أنواع المعجنات الشعبية:

وكلها من ناتجة أصلاً عن مادة القمح، ومن الخير أن تكون هذه في نفس السياق حتى تعمّ الفائدة.

- **فطاير الكشك**: من الأطعمة الشعبية والمحببة على نطاق واسع في حوران هي فطائر الكشك، والمادة الرئيسية هو الكشك، والذي هو عبارة عن برغل يطبخ وبعد نضجه يوضع فوقه اللبن الرائب عليه لعدة أيام حتى يمتزج ويتشرب اللبن ويملح بشكل جيد ، وبعد ذلك يجعل على شكل أقراص أو كتل صغيرة، ويجعل تحت الشمس حتى يجف لعدة أيام، بعد ذلك يفرك حتى يكون

قطعاً صغير بحجم حبة الحمص، وعندما يريدون صنع الفطائر ينقع في الليل بالماء حتى الصباح ويفرم معه البصل و البندورة ومن ثم تخبز وبعد ذلك يدهن وجهها بالسمن العربي أو زيت الزيتون البلدي.

- **فطائر القرع مع اللبنة**: القرع وه ثمرة اليقطين تفرم ويوضع معها البصل وكرات اللبنة بعد أن تفتت ومن ثم تخبز وبعد ذلك تدهن بالسمن العربي أو زيت الزيتون البلدي.

- **فطائر الخبيزة والمرار والهندباء**: المُرّار نبات موسمي في بداية الربيع و كذلك الخبيزة، بعد تنظيفهما من الشوائب والفرم مع البصل ومن ثم تخبز وبعد ذلك تدهن بالسمن العربي أو زيت الزيتون.

- **فطائر العكوب**: العكوب هو كذلك نبات موسمي من النباتات البرية و يجنى من الحقول بواسطة آلة حادة تسمى العبوة وهو عبارة عن سوق مثل الجذور ينمو في باطن الأرض بشكل

طولي، وله شوك كأوراق ممتدة بشكل طولي، بعد استخراجه ينظف من الأشواك ويأخذ الساق الأبيض، ويفرم ويطبخ مع البصل والبهارات ومن ثم يوضع داخل أرغفة العجين تمهيداً لخبزه في الفرن أو على الصاج، وبعد ذلك تدهن بالسمن البلدي أو زيت الزيتون وحسب الرغبة.

- **المسافن**: حيث بعد أن يرق العجين يوضع بداخلها السكر الجاف مع السمن العربي أو زيت الزيتون وتطوى عليه أطراف العجين حتى تصبح مغلقة وتخبز بعد ذلك.

- **اللزاقيات**: وهي من الأكلات الحورانية حيث تصنع على الصاج بعد أن يعجن الطحين ويكون رخواً أقرب إلى اللزوجة ومن ثم يصب على الصاج ويملس باليد قليلاً ومن ثم تقلعه ليبقى طرياً ومن ثم يوضع في الصينية فوق بعضه ويصب السمن العربي على كل واحدة ومن ثم السكر لتصبح طيبة المذاق.

- **المحشوك**: نبات الكرّاث بعد أن ينظف ويفرم وتوضع عليه البهارات والملح وتكون العجينة جاهزة التي تمزج مع الكراث، ثم ترق، وتوضع في الفرن حتى تنضج.

- **قرص مطابق**: تعجن قطع صغيرة من العجين الجاهز بالسمن العربي والسكر، ومن ثم تفرد وتوضع على رقاقة من العجين واسعة ومن ثم ترص عليها القطع الصغيرة المعجونة بالسمن والسكر ويوضع فوقها رقاقة عجين أخرى حتى تصبح مغلقة كالفطيرة، ومن ثم تدخل فرن التنور حتى تنضج وكانت تعتبر كالحلوى بالنسبة لمن يتذوقها.

- **بُرقاقه**: من الأكلات النادرة المحببة للكثير من الناس و تزال مرغبة عند الكثير، وهي عبارة عن عجين يرق ويجعل في طنجرة نحاس طبقة في الأرض، ويوضع الزيت عليها مع الدجاج أو الزغاليل صغار الحمام بعد توضيبها بالبهارات والملح ويوضع طبقة أخرى من العجين ثم يوضع عليها البصل و البطاطا مع البهارات ويصب عليها الزيت ثم تغلق بطبقة من العجين ثم توضع طبقة الدجاج ثم تغلق

بطبقة من عجين ويوضع عليها الزيت والبصل و البطاطا ثم توضع فوقها طبقة عجين أخيرة، وتوضع الطنجرة في الفرن حتى تنضج بشكل وتأكل بعد أن تفرغ من طنجرتها وتقسم بالسكين أو تقطع باليد.

- **الزلابية**: طحين يعجن ويكون رخواً قليلاً، ويمزج مع البيض ويغمسون نبتة العكّوب بالمزيج، وتوضع في المقلى، حتى تحمّر وهي من الأكلات اللذيذة الموسمية فقط في أيام الربيع.

- **المعيسة**: من المأكولات الشعبية اللذيذة في بيئة حوران، وهي تعتبر من الحلويات، وتتكون من خبز الفرن (الطابون) الساخن يفتت على شكل قطع، ثم يضعون عليه السمن العربي ويعجن بالسمن مع السكر، حتى يصبح متجانساً، ثم يقدم للأكل، وهي مأكولات الصباح.

- **الحلاوة الحمرا**: طحين يقلب مع السمن العربي حتى يتحمّر ثم يصب عليه الماء مع السكر، ويطبخ قليلاً حتى يتماسك قليلاً

ويوضع في الصحون يوضع على وجهه الجوز الناعم المقلي بالسمن، وهي تعتبر من الحلويات الشعبية.

❖❖❖

اللباس في التراث الحوراني

ألبسة الرجال :

❖لباس الرأس:

- **القضاضة**: قطعة قماش بيضاء مربعة الشكل رقيقة تطوى في النصف لتصبح بشكل مثلث ، ومنها أيضاً سوداء اللون . وتكون أبعادها١×١م ويستخدمون لها النيلة الزرقاء لإعطائها اللون الأزرق الخفيف.

- **السِّلْكْ** (الشماغ ، الكوفية) : ذو اللون الأحمر أو الأبيض المخطط بالخيط الأسود ، وأبعاده ١×١م ويطوى ليصبح على شكل مثلث .

-**العقال** (البريم) :وأجوده المرعز، ويصنع من شعر الماعز، واللون الدارج والمرغوب هو الأسود، منه الغليظ والرفيع وله شربوشة ممكن أن تكون طويلة أو قصيرة، ويلبس على الرأس فوق الشماغ أو القضاضة، ويطوى ليصبح حلقتين متساويتين على حجم الرأس .

-**الطاقية** التي تلبس على الرأس مباشرة تحت السلك وممكن تكون ذات خيوط متشابكة أو تكون من القماش وغالباً اللون الأبيض هو المسيطر عليها والمرغوب .

❖**لباس الجسم** :

-**القميص** الداخلي من القطن وهو نص كم أو شيال .

-**الكلسون** (الشورت) وهو أيضاً من القطن وغالباً غلى فوق الركبة بقليل .

-**السروال** وهو من قماش الكلمنظة الإنكليزية الصنع وهو واسع بشكل يستوعب كل الحركات حتى يستريح من يلبسه ويستطيع من يلبسه القيام بكل الحركات .

-**الشروال**: وهو شبه السروال ولكنه بألوان زاهية ومزخرف بالخيوط القطنية المغايرة للونه، وتكون على الجيوب وفي أسفله حول الحِجِلْ المحاذي للقدم، والشروال من تراث دمشق وقد تسرب إلى حوران عن طريق بعض الأشخاص .

-**القلابيّة:** وهي بيضاء أو ألوان مختلفة وهي لباس عربي أصيل .

-**الجاكيت** من الجوخ الإنكليزي، وكثيراً ما يتوافق بلونه مع القلابية ، والذي كون بمثابة طقم يلبسه صاحبه في المناسبات

-**القمباز** وهو على شكل القلابية لكنه مفتوح من الأمام ليصبح على شكل جبة، ويطوى يمينه على يساره ويلبس عليه حزام جلدي أسود أو بني في منطقة وسط الرجل.

-**الغندورة** . قميص أسود مغلق من الأمام حتى بداية العنق وله جيب على الجانب اليسر وفي بعض الأحيان جيبتين .

❖**لباس القدمين:**

حفاية: من الكتان الأحمر أو الأبيض . ونوع آخر هي صب من البلاستيك مبطنة بقماش رقيق من الداخل ، واسوا ما فيها تجميع الرائحة الكريهة .

-**المداس** من الجلد يستخدمونه وقت الحصيدة .

-**نعال** من الجلد البني أو الأحمر وهو ما يطلقون عليه (كريشان و بيدر) .

-**حذاء** جلدي (بيتون أو صبّاط) بألوانه المختلفة، ويغلب عليها الأسود .

-**الجوارب** (الجرابات) مختلفة الألوان والأنواع .

❖❖❖

العباءة في تراث حوران

العباءة: لغة هي الكساء المصنوع من الصوف أو غيره، مشقوق من الأمام واسع بلا كُمّين ، يلبس فوق الثياب، ويرجح أنها مفردة آرامية وتختلف باختلاف من يرتديها .

والعباءة بشكل عام يلبسها علية القوم ومن في عدادهم وركابهم من الوجهاء والمتوجهين ، وتتركز ألوانها ما بين الأسود واللون البني الفاتح الذي يقترب من البرتقالي (لون الحنّاء). والمرغوب على نطاق واسع منها المطرز بالخيوط الذهبية على جانبي الفتحة الأمامية من الأعلى المحاذية للصدر، وهي من علامات الزعامة الاجتماعية، فمثلاً عندما يموت أحد الوجهاء وله من الأولاد، فيختار الناس أكبرهم في الغالب ويلبسونه عباءة أبيه، كناية عن أنه له من المكانة المحترمة التي كان يحظى بها والده.

وتحظى العباءة بمكانة في نفوس معظم المجتمعات العربية ما بين الشرق والغرب، ولا يعني ذلك أنني أعتبرها من التراث الحوراني يعني ذلك أن غير أهل حوران لا يعرفونها، ولكنني أتكلم بمثل تلك اللهجة والتي أسجل من خلالها خصوصية العباءة وما ارتبطت به في أذهان أهل حوران من اعتبارات لمثل هذا اللباس العربي التقليدي الموروث عن الآباء والأجداد منذ أقدم العصور.

وتعتبر من أهم المقتنيات التي يحرص على اقتنائها الناس، وخصوصاً ممن تتقدم بهم السن لأنهم يعتبرونها من اللباس الكامل والأصيل ، وتكون للعباءة قيمة معنوية أكبر إذا كانت موروثة من الآباء والأجداد، ولا يكاد بيت في مجتمعنا يخلو من العباءة، وهي طويلة تكون إلى ما تحت الركبة، ومن يخلع عباءته لأمر ما فإنه يطويها ويضعها على يده اليسرى، يفردها ويلبسها حين الاقتراب لملاقاة الآخرين.

والعباءة يلبسها الرجال والنساء، ولكنها تختلف شكلاً ومضموناً عن بعضها، حيث أن العباءة النسائية انتشرت في العقود

الأخيرة بين أهل حوران وفدت إليهم من الجزيرة والخليج، وذلك عن طريق المغتربين الذين يجلبونها لنسائهم وبناتهم، ومن ثم أصبح التجار ومصممي الألبسة يصنعون منها الأشكال والألوان التي تلفت الانتباه حتى يقبل عليها الزبائن، ومن ثم دخلت العباءة في طور عروض الأزياء النسائية، وخصوصاً في عقول المصممين الذين يستهدفون الأرباح في السوق العربية .

وأهل حوران بنطقهم لكلمة العباءة يخففونها بإلغاء الهمزة حتى ينطقونها عباية أو عباة، وهذا النطق باللهجة بهذه الطريقة، قد نطقت به بعض القبائل العربية القديمة، وقد رسخت تلك النقطة في موضوع بعض القراءات القرآنية

أنواع العباءات:

-منها النوع الرقيق الذي يلبس لحسن مظهره في الصيف ولخفته ورقته.

-السميك وهو يلبس في البرد والشتاء، للمظهر الحسن واتقاء البرد، وأحسنها المصنوع من وبر الإبل، ومن صوف الكشمير الممتاز.

العباءة في الذاكرة الشعبية:

-**عباءة الخال**: وهي عادة كانت متبعة، كل شاب يريد أن يتزوج من فتاة عليه أن عباءة الخال وهي شرط ، فإما يشتري عباءة لخال العروس أو أن ينقده مبلغاً يستطيع أن به عباءة أو يكون بمثابة عوناً للخال حتى يستطيع أن يقوم بتكاليف غسيل العروس في بيته، وعادة ما تعطى لأكبر الأخوال سناً ، وبيته يكون هو المكان الذي لا نزاع عليه في غسيل العروس والتي تكون ابنة أخته. ولكن هذا كان أيام زمان ، لأن رضا وقبل الخال من أسباب إتمام الزواج، حيث أن الترابط الأسري القوي لا يسمح بخروج فرد على أقاربه ويضرب برضاهم عرض الحائط، الآن تقريباً انتهت هذه العادة.

-يقولون (**ربي مدّيت عباتي تقبل صلاتي**)❖ وهي كناية عن نية الصلاة دون العلم بالكثير من فقهها وحيثياتها .

-يقولون (**إذا كان حجة البدوي عباتو ، فراقو بسوق العبي**)❖ ويضرب لمن يبتلي بشخص غليظ ينغص عليه يومه، أي يجب إعطاء هذا الشخص ما يطلب والتخلص من، لكي تجلس وتستريح. حتى لو طلب عباية خذه إلى سوق العبي واشتري له عباية وألبسه إياها.

-يقولون (**العباة بِدْهَا قَبّة**) ويضرب لما يظنه الآخرون كاملاً ما زال ناقصاً ، ويردف بمثل آخر مفاده (**عباتي وَنِي فيها**)، ويضرب لمن الأمور معرفة جيدة وحاذقة.

-يقولون (**بأوّل خطراتو، ضيّع عَبَاته**) يضرب لمن يهمل في الحرص على أغراضه وفشله في تحقيق مهمته من السفر . أي في أول سفر له لم ينجح.

-يقولون (**لو شلّحني عباتي ما عرفتوا**) يضرب لمن يلتقي بشخص ويسلم عليه، وهو لا يعرف ذلك الشخص رغم أنه قريب له، وربما يكون من أبناء عمومته.

ولا تزال المكانة المعنوية للعباءة في المجتمعات العربية بما ترمز إليه من ترابط النسيج الاجتماعي، ولكن ما يثير الحنق تلك الفرق الراقصة التي يستخدمون فيها العباءة مسيئين لهذا الرمز، وخصوصاً عندما تكون على جسد راقصة، حينما تدخل المنصة تلبس العباءة وتدور قليلاً، ومن ثم تخلع العباءة لتخرج بحقيقتها التي تظهر بها دائما.

❖❖❖

العقال العربي في حوران

إن للعقال مكانة كبيرة لدى الكثير من شعوب بلاد الشام والجزيرة، وهو يعتبر من لباس الرأس لدى الرجال، وهو يعتبر من التراث بلونه الأسود المُزْرَق وهو محبب لدى الرجال الذي هم على أبواب الأربعين من العمر حيث يكونوا قد بلغوا مرحلة العقل ، والذي هو الأساس في تسمية العقال برمزيته إلى مرحلة النضج والكمال لدى من يلبسه، حيث يحظى بالاحترام والتبجيل من الآخرين، حتى أن من يلبسه للمرة الأولى ينال الكثير من التبريكات والحث على دوام لبسه حتى أنهم يطلبون منه الحلوان على ذلك وعليه أن يستجيب لهم. ومن الناس في بعض دول الخليج يطلقون على العقال تسمية(بريم) ويبدو من ذلك لأن خيوطه مبرومة بإتقان .

أما صناعة العقال فهي لا تزال تلقى الرواج، وهي تعتمد على الأيدي الماهرة، ومنهم من لهم مشاغل لتفصيل العقال حسب ذوق الزبون كما الخياط للثياب وخاصة في دول الخليج، ويبدو أن الخيوط القطنية التي تنضد بحيث يجمعونها بسماكات مختلفة منها الغليظ ومنا الرفيع ومن ثم يغلفونها بخيوط حريرية سوداء أو بالنوع المشهور من العقال الشامي المرعز أي الذي تكون خيوطه الخارجية مصنوعة من شعر الماعز، وهو متعدد الأنواع حسب البلد التي يصنع بها، وهناك منه ما هو يحمل في مؤخرته شربوشة متوسطة ومنها من بلا شربوشة، وهناك الشربوشة المزدوجة الحبل بشكل أنيق وهو المحبب لدى جيل الشباب وخاصة في دول الخليج، بالطبع له أيضاً مقاسات حسب تدويرة الرأس لا أن يكون واسعاً ولا ضيقاً. وهناك اللون الأبيض لكنه نادر الشيوع.

وهناك العقال الحجازي ذو الطبقتين العريضتين بشكل جميل منسق ملفت للانتباه بخيوط القصب الذهبية وهو الذي شاع عندما

لبسه أمراء وملوك بني سعود ولكن لم يأخذ حظه في الشيوع مثل العقال العادي.

ومكان العقال على الرأس فوق الفترة أو الشماغ (الكوفية) ومنهم من يضعه على رأسه بشكل مستوي ومنهم من يميله قليلاً باتجاه الخلف، ولكن إمالته باتجاه الجبين إلى الأمام مما يجعله بعضهم يلامس الحواجب فهو يدل على الشجاعة والزهو بالنفس وكذلك إمالته على الجانب، وحدث مرة أن مرّ شاب من أحد القرى المجاورة لمدينتي بصرى الشام ويلبس عقالاً ولكنه قد أماله باتجاه، فصاح به أحد الرجال الأشداء آمراً له بتعديل عقاله لأنه اعتبر ذلك تحدياً لكل رجال القرية. وكان أن استجاب وفهم المقصود من ذلك.

أما إذا وضع شخص عقاله في رقبته فإن ذلك يرمز على أنه في ضيق وضنك ومشكلة تحتاج للمساعدة، وإذا دخل على بيت وجيه أو شيخ قبيلة فإنه وجب عليه أن يغيثه ويلبي له طلبه ويقوم على توصيله لبر الأمان.

وهناك الكثير من الأغاني التي تتغني بالعقال و الكوفية و أشهرها(**يا بو عقال وكوفية والسمرة العربية**). فإلى جانب رمزية العقال فهو ينفع كثيراً وقت الخلاف و العراك بالأيدي حيث يستخدمه الكثير لضرب من يقابله في النزاع.

ولم تبتعد ذاكرة الناس في رمزية العقال من الأمثال الشعبية، مثلا يقولون لشخص ما لكثرة مشاكله مع الآخرين (**عجّز كل من حط العقال على رأسه**) وعن صلاح شخص في حياته وظن الناس به خيراً يقومون بأخذ عقاله ووضعه على المرأة التي تتعسر بالولادة، فيقولون عن ذلك(**عقاله يفك المتعسرة**) طبعاً بإذن الله.

وكثيراً ما يورث العقال من الآباء والأجداد كناية عن ترابط وتماسك الأبناء واعتباره رمزاً لرجولة جدهم أو والدهم.

❖❖❖

العادات الرمضانية في حوران

تحري رؤية الهلال رمضان: لقد حضي شهر رمضان بكثير من الاحترام والشوق إليه وكل الناس عند اليوم الذي يتوقع فيه رؤية هلال شهر رمضان، فعند الغروب يهيئون ويتجمعون في المناطق المرتفعة محاولين رؤية الهلال، ومن ثم ينتظرون الخبر من الراديو .

وتقام صلاة التراويح في المساجد، وكل يصلي على مقدرته إما ثمان أو عشرون ركعة، ولا حرج في إثارة الخلاف. وتقام في المساجد الموعظة من قبل العلماء والمشايخ كل يوم من بعد صلاة العصر حيث يتجمع الناس لسماع الحديث وأحكام الدين ويكون الوقت لا عمل فيه حتى الإفطار.

العادات الرمضانية:

التزاور فيما بين الأهل والأصدقاء، وتقام الولائم الرمضانية كل يوم عند أحد أفراد العائلة، وهكذا على مدار أيام الشهر الكريم.

-أول جمعة ينتظر الناس أول يوم جمعة يأتي في رمضان ليرسلوا بالطعام والهدايا للأرحام والأهل .

-يوم سبع وعشرين ، وكان الناس يطبخون (أذان الشايب) وهو ما يسمى (شِشْ بَرَكْ) ويوزعونها على الأهل والأقارب.

- إرسال الأكل على الجيران كل يرسل صحناً لجاره مما طبخ في هذا اليوم ، والصحن الذي يأتي من العيب إرجاعه فارغاً

بل يجري ملأه بالطعام وإرجاعه .

-شراء ملابس العيد للأولاد ويبدأ ذلك منذ بداية الشهر أو حتى قبيل العيد

-خبز العيد وهو ما يطلق عليه (خبز الأقراص) وهو يعمل خصوصاً للعيد، وهو مزخرف حسب القالب الذي يمد عليه ويوزع مع علب الراحة الحورانية على الأهل والأصدقاء.

وكانت العائلات التي نكبت خلال الفترة التي تسبق رمضان بموت أحد أفراد العائلة ، فإنهم يكونون في حالة حداد فإنهم لا يخبزون الأقراص (قراص) علامة على حزنهم .

-صنع شراب القمردين (شرائح مجففة من فاكهة المشمش) يشرب على السحور .

-صنع الخبز عند فترة السحور ليأكلوا خبزاً ساخناً ، أحيانا يخبزون العجين وهو (عويص) غير مكتمل التخمير .

-توزيع زكاة الفطر من القمح كانوا يوزعونه على المستحقين من الفقراء. ويبدأ توزيعها منذ بداية رمضان وحتى فجر يوم العيد قبل أداء الصلاة .

-كنا ونحن صغاراً ننتظر التكبير (اللّه أكبر) من أعالي المآذن حيث يجافي النوم عيوننا ننطلق لارتداء الملابس الجديدة ونذهب إلى الجامع نصلي ونخرج لمعايدة الأقارب ونجمع العيديات لشراء ما نشتهي من مفرقعات وألعاب

اليانصيب وأشياء لا نراها ولا تظهر في المحلات إلا أيام العيد والأراجيح التي تنصب لموسم العيد .

- يؤدي الناس صلاة العيد ويخرجون إلى زيارة المقابر للسلام على الأموات وقراءة الفاتحة ، والعودة إلى أحد بيوت الأقارب فيتناولوا طعام الإفطار وينطلقوا للذهاب إلى العائلات التي

فقدت أحد أشخاصها في الأشهر التي سبقت العيد فيجلسون فيأخذون بخاطرهم، ومن ثم ينطلقون لمعايدة الأقارب بشكل جماعي ، وهكذا يكون يوم العيد.

-توزيع الحلوى، وتوزيع القراص والراحة على الأرحام والأقارب، وتوزيع العيديات الفلوس التي يعطونها للأولاد

-في العيد كثيراً ما تنتهي الخصومات بين الأفراد حيث تدخل الوساطات، وكثيراً ما يحل الود والمحبة مكان العداوة والبغضاء.

بالطبع لا تزال في مثل هذه الأيام العادات والتقاليد متبعة في كثير من جوانبها الإيجابية .مع الاختلاف البسيط بسبب التطورات التي دخلت على كل المجتمعات الإنسانية بشكل عام.

❖❖❖

المسحّراتي الطبّال

هذه الشخصية قد افتقدت في مجتمعاتنا، وأصبحت جزءاً من الماضي الذي يحمل البساطة والجمال المشبعة بالروحانية في ليالي رمضان، ارتبطت هذه الشخصية برمضان وبعودته كل عام مما أضفى عليها نوعاً من التركيز الذي عشعش في قلوبنا وداعب أرواحنا التي كانت تتراقص طرباً مع نقرات أصابع المسحراتي على الطبل ونبرات صوته الذي يشق سكون الصمت الرهيب وغفوة

الكون وهدأته (يا نايم، وحّد الدايم) يحدوني الشوق للذكريات الرمضانية الجميلة ، انتظار الفطور وجلوس الأسرة كلها، متحلقة حول المائدة تنتظر انطلاق اللّه أكبر من مئذنة العروس بصوت الجد محمد الحسن المتهدج الذي يثير ما استكن في القلوب المؤمنة من شذرات إيمانية و يهيج الأشواق يكون إيذاناً لترطيب الحلق بالماء والتمر، وصلاة المغرب، ومن ثم تناول الطعام، و الاستراحة استعداداً لصلاة التراويح.

شخصية المسحراتي:

أبو راغب، وكان يطلق عليه اسم (كرزون) و للآن لا أدري هل هذه كنيته الحقيقية أم لا ، حيث أنه يأتي كل موسم من دمشق وينزل في أحد بيوت القرية، اعتاد هذا الأمر حتى أواخر عمره حيث لم يعد يأتي رحمه إلى بصرى، أبو الراغب الذي قد حاز على محبة الجميع بشخصيته الدمثة حسنة الخلق يعرف كل رجال القرية، مجيء أبو الراغب منبه لنا أن رمضان اقترب، بالطبع عمله موسمي، يتقاضى عليه صدقات أهل القرية مما تجود به نفوسهم

المؤمنة . كما أنني لا أدري ما العمل الذي كان يمارسه خلال بقية العام في العاصمة.

ومما زاد الدهشة لدينا ونحن صغاراً عندما علمنا أن لأبي الراغب زوجة وأولاد، ولم أجد التفسير إلى الآن ما هو الدافع لنا لمثل هذا الاعتقاد، وجه ذلك الرجل الذي يوحي بالأمان والاطمئنان لكن خطوطاً عميقة حفرتها قساوة الحياة بعمق، حيث اكتسى بها ذلك الوجه النحيف بابتسامته اللطيفة وبلكنته الدمشقية الجميلة التي كنا نقلده في طريقة نطقها.

فترة السحور مجال أبو الراغب الحيوي ما إن ينتصف الليل، حتى يعلق الطبل في كتفه، وعلى جانبه الآخر يعلق كيساً ليجمع فيه ما يحصل عليه، ينقر بعصا صغيرة على طبله مع ترانيم تنطلق من قلبه لتعانق السماء بحب تبادلي عجيب (يا نايم وحد الدايم) يا أبو الخير وحد الدايم رمضان كريم ، وحد اللّه، ويضرب على باب أبو الخير حتى يصحو ويخرج عليه وبيده شيئاً يعطيه له . ويأتيه رجع صوت أبو الخير لا إله إلاّ اللّه، ومن أفعال الأولاد حيث كنا نتبعه

نجوب معه أزقة الحارة ونعود، ولكن شقاوة بعض الأولاد الذين كانوا يحاولون إيذاءه بالسخرية من حركاته الجدية والصارمة والتشويش عليه وقطع ترانيمه، مما يضطره أحياناً كثيرة لطردهم وإبعادهم عنه، إن الشجاعة النادرة التي يتمتع بها ذلك الرجل حيث يجوب أزقة القرية كثيرة العتمة وقليلة الإنارة، ورمضان يدور دورته كل عام ففي أيام الصيف والربيع يبدو الأمر عادياً لأداء مهمة الطبال ،لكن الذي لم يكن عادياً عندما يأتي رمضان في فصل الشتاء والأمطار والثلوج والبرد القارس والضباع والذئاب والكلاب الضالة التي يمكنها أن تهدد حياة الإنسان .

هذا جانب رمضاني، فقدناه في حياتنا الحاضرة، وأصبح جزءاً من شريط الذكريات، الذي تحن إليه نفوسنا بشوق، وأسف على انقراضه. سقى الله تلك الأيام خيراً

❖❖❖

ترانيم

الشيخ (محمود العيد) الرمضانية

جادت عناية اللّٰه على بصرى الشام، وأهلها بصوت عذوبته كماء الجهير من مئذنة العروس، التي تتربع على الزاوية الشمالية الشرقية للجامع العمري في بصرى.

كل يوم وعند السحر والناس نيام، يقوم الشيخ رحمه اللّٰه تعالى ليبث نداء اللّٰه عز و جل على أهل بصرى وربوعها لنشر الأمان

والطمأنينة، وفي رمضان يجود بما يتناسب مع كرامة وفضيلة رمضان.

❖**الترحيب في شهر رمضان بلهجة فرح وسرور وتفاؤل:**

مرحباً مرحباً .. يا رمضان

مرحباً مرحباً .. يا شهر القرآن

مرحباً مرحباً .. يا شهر الفرقان

مرحبا مرحبا .. يا شهر التراويح

مرحباً مرحباً .. يا شهر التسابيح

مرحباً مرحباً .. يا شهر انحطاط الأوزار

شهرٌ أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق ونجاة من النيران، شهر بين الشهور نوراً على العاصين مقتاً وويلاً وثبوراً.

يا ليت شعري ..

مَنْ المقبول منا فنُهنّيه.

ومَنْ المطرود منا فنعزّيه.

اللهم اجهلنا من المقبولين.

من الصائمين القائمين.

وصلّ على محمد سيد المرسلين.

إلهنا لا تردنا بعد هذا الدعاء خائبين.

ولا من جودك وكرمك من المحرومين

ولمعروفك تعرضنا

فأمّنا اللهم من خوفنا يوم الفزع العظيم ..

❖ وبعد انقضاء نصف رمضان: تتغير الترنيمات بدل الترحيب إلى التوديع:

الوداع الوداع .. يا رمضان

الوداع الوداع .. يا شهر القرآن

الوداع الوداع .. يا شهر الإحسان

الوداع الوداع .. يا شهر القرآن

الوداع الوداع .. يا شهر الفرقان

الوداع الوداع .. يا شهر التراويح

الوداع الوداع .. يا شهر التسابيح

- بالطبع تكون لهجة الوداع حزينة لانقضاء أيام الشهر الفضيل، رحم الله الشيخ محمود العيد الدوس والذي مازالت نبرات صوته تتردد في جنبات بصرى يرددها الحجر والشجر قبل البشر.

❖❖❖

طب الخوابي

(صناعة الخوابي)

لقد كانت جارتنا (حمدة الخلف -أم محمد) من المهارة للقيام بكثير من الأعمال التي تتفوق بها على نساء الحارة جميعاً، حتى أنها عُدّت من النساء القليلات على مستوى البلد بشدة إتقانها.

وأنها كانت تقوم بالعمل مقابل أجرتها المتفق عليها، ولكن هذه المرأة التي حباها الله بذهنية صافية وإصرار عجيب على المثابرة بعزيمة لا تلين وتتوقف أمامها عزيمة عتاة الرجال في القوة والمنعة. و حمدة كانت تتقن صناعة الخوابي لمياه الشرب.

وقد كانت الخابية عماد كل غرفة حيث أنها توضع في عتبة الغرفة التي تنقص بمنسوب ارتفاعها عن باقي أرض الغرفة.

ولا يمكن لأي شخص أن يستغني عن وجود الخابية في غرفته، ومن عادات البيوت الكبيرة، والتي يعيش فيها مجموعة من الأسر

التي تنتمي لأب واحد أو أبناء عمومة، لكل أسرة غرفتها، أن يكون هناك خابية كبيرة موضوعة داخل بيت مخصص لها، يحميها من أشعة الشمس ومياهها متاحة لكل فرد رغب في شرب الماء البارد، وهي بمثابة الثلاجة التي نأخذ منها اليوم الماء المبرّد حيث أنها ترشح من جوانبها فيكون ذلك سبباً في تبريد الماء بداخلها في الصيف وحرّه.

وهذه الخابية المركزية تملأ كل يوم من قبل المرأة التي عليها دور جلب المياه من نبع الجهير، لأن تقسيم الأعمال في مثل تلك البيوت كان شائعاً، التي عليها الدور في الطبخ تسمى دوّارة، التي عليها الدور تصحو مع الفجر لتخبر الخبز و تحلب البقرة والماعز وتجلب المياه من الجهير وتصنع الطعام للأسرة كلها على اعتبار أنهم كانوا كلهم يصطفون على صحن واحد.

وأرجع لجارتنا حمدة وهي تقوم بالتحضير لصناعة مجموعة من الخوابي، فإنها تنظر حتى يجتمع لديها من الطلبات ما يستحق أن تفتح ورشة لصنع تلك الخوابي لأن ذلك يحتاج للتحضير، فكانت تجلب التراب الغضاري، والرمل الناعم الأسود، وهو من بقايا البازلت وكذلك أكياس الخيش القنب، حيث تقوم بنقعها في الماء ثم تقوم بفرمها حتى تتفتت وتصبح خيوطاً ناعمة، يسمونها(قتيت)،

وبعد ذلك تصنع الخلطة من هذه المواد بحيث تكون طينتها لزجة بعد دعكها جيداً، تبدأ بصناعة القاعدة على قالب إما يكون طنجرة أو غير ذلك، وفي اليوم الثاني تسقيها في الصباح الباكر؛ برشها بالماء، وتبدأ العمل ببناء جسم الخابية التي تصبح مفلطحة من وسطها، وكل خابية حسب حجمها المطلوب منها الكبيرة جداً ومنها الوسط والصغير، ويستغرق هذه العمل لفترة زمنية ما بين الأسبوع والعشرة أيام، ببطء شديد يحتاج للصبر والتأني على إنجاز مثل تلك الأعمال بالدفة المطلوبة، وبعد مرحلة الانتهاء تلك.

تترك هذه الخوابي لفترة حتى تجف وكل يوم يرش عليها الماء حتى تبقى متماسكة ولا تظهر فيها الشقوق نتيجة جفافها، وخلال تلك الفترة تكون قد جهزت الحطب وبقايا الأخشاب والزبل أو الجلّة، كل ذلك تمهيداً لعمل شي لها حيث تصفها بشكل متناسق وتطمرها بالمواد التي جهزت وبعد ذلك تشعل النار في جوانبها.

وتبقى الأمور على هذه الحالة يومين أو ثلاثة أيام والنار تعُسّ ببطء والدخان يتصاعد حتى تنقطع سحب الدخان مشيرة إلى انتهاء المواد باحتراقها، وبعد أن تبرد ينظف الرماد وتخرج الخوابي والتي تكون قد وصلت لمرحلة الاستخدام.

ومن الأمثال التي قد طبقت الآفاق ومتداول على مستوى واسع ما بين شرق وغرب الوطن العربي(**طُبْ الجرّة على ثمها بتجي البنت لأمها**)، أي أن البنت بنت نسخة عن أمها بتربيتها وأخلاقها.

❖❖❖

فن الهوهاية

(الهواهي عند أهل حوران)

وهي نوع من الأهازيج والغناء الأقرب إلى الزجل ، يقال في مناسبة الزفاف والأعراس، عندما يقوم العريس أو العروس للرقص، فتقوم مجوعة من النسوة من الأقارب والأهل والأصدقاء، بقول ذلك الفن يمدح صفات العريس أو العروس أو من يتقدم للرقص وكذلك لتشجيعه و فيه كثيراً من الفخر والمدح بالمآثر والصفات. وتقال (إي ها – أوها) مُلَحّنَة بمدها:

- **(أوها والطول طول الجريدة**

أوها والعين سودا ومديدة

أوها والثُّمْ❖ خاتم سليمان ❖(الفم)

أوها مدقوق فضة جديدة).

بعد من الانتهاء من هذه المقولة تنطلق الزغاريد مجلجلة من أفواه النساء وما أجمل حركة اللسان بحركاته التي تتفتل في فم صاحبة الزغرودة بحركة عجيبة مثيرة للتوقف والتأمل وهي تفتحه على وسعه، ولكنها تضع إحدى يديها أمام فمها، لإخفاء مل يبين منه.

❖(أوها باب المدينة دوم موقوفنا❖ ❖(المكان المحبب للوقوف)

أوها والجوخ الأحمر دوم ملبوسنا

أوها ومادام (فلان) فوق روسنا❖ ❖(رؤوسنا)

ندوس العِدا❖ ولا العِدا تدوسنا) ❖(الأعداء)

(أوها باب المدينة عالي

أوها وأشبّكوا بِرْدَاني❖ (الأردان من اللباس)

أوها رياه شيخ النعسان)

❖❖❖

فن الهوليّة

(عند أهل حوران)

في مناسبات الأفراح، وخاصة الأعراس ذات الطقوس التراثية، التي اندثر أغلبها ولم يتبق منها إلاّ القليل والنادر، حتى تعرض الكثير منه للنسيان والاندثار بسبب قلّة الممارسة له، ومن ضمن ذلك الهولية، وهي حلقة من النساء تكون حسب حجم الحضور وأهميته، حيث يتحلقن وتمسك كلٌّ منهن بيد الأخرى بواسطة الخنصر وترفع الأيدي بمحاذاة الصدر، ويكون دوران الحلقة ببطء شديد، وذلك على رتم الأغنية التي تقال بلحن خاص بالهُولِيّة، ويكون الغناء بشكل جماعي، تنقسم الحلقة الكبيرة

لقسمين، يكون القسم الأول يردد الأغنية، بعد أن ينتهي ، يجيء الدور على القسم الآخر من الحلقة ليردد، ما قاله القسم الأول و وبنفس الرتم، من اللحن والتوقيت.

وتكون النسوة في هذه المناسبة يلبسن الألبسة التراثية، مثل جُبّة الجوخ الحمراء الطويلة حتى تكاد أن تلامس الأرض بمحاذاة الكعبين، وهذه الجبة مفتوحة من الأمام، وعلى الرأس تعتمر الحطة من القماش الأغباني الفاخر، وهي مقصبة مطرزة باللون الذهبي و الأسود.

ومنهن من يعتمرن الشماغ الأحمر المشربش و الذي هو عادة للرجال ،ولكنه من ألبسة الزينة المتميزة، ومنهن كذلك من يعتمر الغطاء الأبيض المسمى (القضاضة) المرسوم عليها الزخارف المشغولة باليد وبألوان زاهية.

ولكن الأغاني التي تقال في الهولية هي خاصة بهذا الحلقة، وهي مقولات عادة ما تتغنى بمفاخر الآباء والأجداد من عادات الكرم والشجاعة و المروءة، وهي عل سبيل المثال، كالآتي :

❖(برجاس يا قاضي الهوا برجاسي

بصرى نهار الكون❖ ما تتداسي (الحرب)

بيها شباب موشحة برصاصي

بيها أحمد فارعين و دارعين

وبيها محمد يا عصابة الراس)

ومعنى ذلك (أن برجاس اسم قاضي، وهو بمعنى قاضي الهوا والحب، كما تعورف عليه عند العامة . و بصرى يوم الحرب ما يستطيع أحد من الأعداء أن يدوس ترابها لأن فيها الشباب كأمثال أحمد ومحمد وهم من النشامي ذوي الطول الفارع ودارعين صدورهم أي مكشوفة ومشمرين عن سواعدهم وهذه من

مواصفات الفتوة و الشجاعة و النادرة مما تدفعهم للتضحية دفاعاً عن حياض الكرامة والشرف وصون تراب الوطن .

وكلمة (بيها) تدل على نفس معنى فيها أو بها، ولكن اللفظ الشعبي هكذا أضيفت الياء لثقل اللسان توجهاً للتأكيد).

ومن ذلك الأغنية :

❖(ثلاثتهن و أقبلن يا زين ملفاهن

وصلن نواحي حلب عيني يا محلاهن

أحمد يخزّهن يأخذ حلاياهن

وأحمد و يا نمرهن يا ذيب شلاياهن)

وهذا يعني: (التغني بجمال البنات وهن ثلاث أقبلن، بجمالهن وهيبتهن الوقورة، يا زين المكان الذي جئن إليه(ملفاهن) المكان الذي يلفي عليه الشخص من بعد عودة من سفر أو مكان بعيد أو قريب، وهن قد وصلن مدينة حلب ، وعيني لم تجد لا أجمل ولا

أحلى منهن، هذا الابن أحمد ينتقي إحدى هؤلاء البنات للزواج، وهو كالنمر في رشاقته وشبابه وفتوته، وكذلك هو الذئب يحوم حول تجمع هؤلاء البنات الذي شبه بشليّة الغنم من حيث التجمع والتكدس).

هذا هو فن الهوليّة، الذي هو خاص للنساء في مناسبات الزواج، وأغانيه هي من نوع الفخر الذي تطرب له القلوب، وكذلك لطرح المزايا الحسنة للعروس والعريس من الحسن والجمال ، وهذا النشاط قد خفّت وتيرته في الأفراح.

❖❖❖

الختان أو الطهور

(عند أهل حوران)

يعتبر ختان الأولاد من العادات والتقاليد المتبعة في معظم المجتمعات العربية والإنسانية على وجه العموم، وهي كذلك من لها التقليد الديني حيث أنها تقليداً لسُنّة أبو الأنبياء ابراهيم خليل الرحمن ، وبمجيء الإسلام اعتبر الختان أحد سنن الإسلام ، والتي هي من الفطرة السليمة، وحدد اليوم السابع من ميلاد أي طفل وأولها الآذان في أذن المولود اليمنى وإقامة الصلاة في أذنه اليسرى،

وتسميته وختانه والعقيقه والتحنيك بالتمر، ولكن لكل مجتمع طقوسه الخاصة التي تتقارب أو تتباعد مع المجتمعات الأخرى.

ومجتمع أهل حوران له من العادات والتقاليد التي تجري في مناسبات الختان لأولادهم، وقديماً كانوا يتركون أولادهم حتى يبلغوا من العمر عدة سنين، حيث يصل الطفل لعمر عشر سنوات وهو لم يختن، وينتظر معظم الناس حتى الصيف حيث تكثر المناسبات الأفراح، وتعتبر مناسبة الختان من الأفراح التي تقرع لها الدفوف وتذبح لها الذبائح وتقام الولائم ويجتمع الأهل والأحبة والأصدقاء.

وقديماً كان الرجل الذي يقوم بعملية الختان يأتي من المدينة ويسمى (المُطَهّر) حيث تعتبر عملية الختان من الطهارة التي تقتلع مكان النجاسة التي تستتر تحتها.

كان الأهل يحضرون الدفوف من جلود الماعز بعد تحضيره بالتنظيف بالدباغ وحلق الشعر الذي عليه يشدونه على إطار خشبي

مدور بأحجام مختلفة، وهذه الإطارات هي بقايا مناخل الطحين أو الحبوب، وينظفون الدار ويجهزون المكان على أحسن ما يكون، ويدعى الأهل والأقارب والأصدقاء، والنسوة يهزجن بالأغاني البديعة التي تطرب لها الأذن، بنغمة خاصة لمثل تلك المناسبة، وتتعالى الزغاريد الجميلة من أفواه النساء، عند انتهاء عميلة الختان، ويلبسون الصبي جلابية بيضاء، ويضعون في يده باقة ورد محلية يجمعونها من الورد الجوري بألوانه، والورد الحوراني المسمى طاب فلسطيني، وتبدأ حفلة الغناء بشدة وحماس مترافقة برقص النساء على نغمات الأغاني مع التصفيق بإيقاع يتناغم برهافة مع دون أن ينشز أحد. بينما الرجال يجلسون في المضافة يتجاذبون أطراف الحديث، ويحتسون القهوة المرة العربية، وهي رمز للضيافة، وهم ينتظرون موعد الغداء الذي سيحضر بعد الظهر، ومن هذه الأغاني المتداولة الخاصة بمناسبة الختان:

❖(واكربي زنارك يا أم المُطهّر، واكربي زنارك

عابرين على دارك، حسّ المطهِّر، عابرين على دارك)

(وهذا يعني أن النساء القادمات للمناسبة بدعوة من أم الصبي، ينادين عليها أن تشد من الحزام الذي تضعه على خصرها، بأن تعرف ضيوفها لتقوم بالواجب الذي يليق بهن، والمقطع الثاني يعني أننا جئنا عابرين أي داخلين على دارك، لما سمعن صوت المطهر ذلك الرجل الذي يقوم بالختان، وللتأكيد بالمجيء يرددن عابرين أي داخلين إلى دارك).

❖ومن ذلك أيضا:

(إيدك، إيدك، يا مطهر الصبيان، إيدك

لا توجع (محمد) بنقطع إيدك).

(وهنا أن الأغنية التي تترد على ألسنة الحاضرات من النسوة، يحذرن فيها المُطهّر أن يخفف يده بعملية الختان، وأن لا يتسبب بالوجع للصبي وعلى سبيل المثال اسمه محمد، الذي يبكي خوفاً من الدم والألم، وتلك العملية تجري بدون مواد مخدرة، وإذا حصل الوجع سننتقم منك، بقطع يدك، بدل الوجع الذي سببته لمحمد)

❖وأيضا:

ومبارك الطهور، يا أم محمد مبارك الطهور، (هنا طريقة المباركة المسبوكة والتي تقال كأهزوجة، متناغمة موزونة).

وكثيراً ما كانت تقام الأفراح لعدة أيام، وكثيراً ما كانت تصل للأسبوع، مثلها مثل العرس، ومن تحليل أهمية الحدث في حياة أية أسرة أنها كانت تحتفي برجولة هذا الطفل والذي أصبح يشب على الرجولة، وهو ما يعني أن العائلة ازدادت فارساً ومنافحاً عن حياض الأسرة والعشيرة، والقيام بأعمال الحصاد والفلاحة مساعداً لوالده وأعمامه.

ومن طقوس تلك المناسبة رش الحلوى على الولد حين خروجه من الغرفة إلى رحاب الدار، وتقديم الهدايا و النقوط: هو مبلغ مادي يقدم على سبيل المساعدة، وهو متبادل في المناسبات بين الأهل والأصدقاء.

❖❖❖

الجاهـة والعطـوة

في تراث حوران

الجاهة: وهي من الجاه، ويكون أعضاؤها من الوجهاء والناس العاديين الذين يحوزون على احترام معظم شرائح مجتمعهم، لصفات حميدة لم تتوفر في الكثير ممن سواهم، ومشهود لهم بالعقل والحكمة والتروّي في معالجة المشاكل والصبر على لأوائها.

وهم يسعون وبشكل دائم وحثيث على حساب أنفسهم ووقتهم لتقليل الخسائر وتقريب وجهات النظر فيما بين المتخاصمين،

والاتفاق على النقاط الإيجابية وتحجيم السلبيات، وذلك بالإقناع و سحر شخصيتهم، وثقة الناس بصدقهم والذي يسمى بـ"المَوْنَةْ" .وبالعودة لمعين اللغة العربية، نجد أن "الجاه" هو القَدَر والمنزلة، وفلانٌ ذو جاه، وقد وجهه توجيهاً، أي جعله وجيهاً.

وتعتبر الجاهة طرف حيادي غير متحيزة لطرف، وتعمل على أرضية حل الخلافات و تجسير الهوّة بين الأطراف و الخصوم، أما ما يعبّر عن ذلك بقولهم: (كِدّوا الجاهة) في المفهوم الشعبي هو أن يطلب شخص من الجاهة أن تذهب للطرف الآخر لحل مشكلة معقدة استعصت على الحلول العادية، أو للوصول إلى حق يطلبه ويسعى للوصول إليه، ولغوياً تعتبر كلمة[كد] و هي الشدة في العمل وطلب الكسب، وأما بكسر الكاف تأتي بمعنى التجمّع وهي تتوافق مع استخدامها الاصطلاحي عل ألسنة الناس وهو أن يتجمع أفراد الجاهة للقيام بالمهمة التي كلفوا بها، من إصلاح لذات البين واسترجاع الحقوق وتطييب القلوب وإزالة كل مظاهر

الشر و التوتر فيما بين المتخاصمين، ونشر السلام والتواصل وإعادة الأمور إلى مجاريها.

الجاهة عند طلب العروس وإصلاح ذات البين:

بتكليف من ولي أمر الشاب بالذهاب للعائلة الفلانية لطلب قربهم ومصاهرتهم، وكما هو معلوم فإن القهوة رمز الضيافة ، فإذا قدّم صاحب البيت القهوة فإن كبير الجاهة يضع فنجان القهوة أمامه ويمتنع عن شربها حتى يتلقى وعداً بتلبية طلبه من صاحب البيت، حيث يشير إليه بالشرب وطلبه سيلبى بعون اللّه.

وفي حالات ترجع الجاهة ولا تتناول قهوتها، وهو رمز لفشلهم في مهمتهم، ويعد عدم شرب فنجان القهوة عيباً حسب الأعراف الاجتماعية التي اعتادت الاستجابة للمساعي الحميدة، ومن يتعنت برأيه يقولون له: (بدّك جاهة حتى ترضى)، كذلك يقال أيضاً: (يعني الجاهة مو عاجبتك) وإفشال جهود الجاهة يعتبر عيباً ومنقصة في نظر الجميع، كلما كان الشخص نبيلاً وكريماً فإنه

يتجاوب مع مساعي الجاهة فيم يمكن أن يتسامح به من حقه لخصومه.

الجاهة في حالات القتل (الخطأ أو العمد) يقولون: (فلانٌ مِدْمي) أي يحمل برقبته دم شخص قتله أو تسبب في قتله عن طريق الخطأ أو العمد عن سابق الإصرار والترصد أو ثاراً و انتقام في هذه الحالة تقوم عائلة الجاني باللجوء إلى طرف ثالث من غير عائلتهم أو عشيرتهم أو قبيلتهم، أولاً لطلب الحماية خوفاً من (فورة دم) أهل القتيل ويصار إلى الانتقام منهم من شدة رد الفعل، وثانياً للتوسط فيما بين الطرفين لحل الموضوع بالطرق السلمية. ضمن الأعراف والتقاليد العشائرية المتعارف عليها المتبعة في مثل هذه الحالات على أيدي أناس متخصصين في القضاء العشائري(قضاة العشائر)، فإذا سارت الأمور بشكل عادي بلا عقبات فإنهم يُكوّنوا اتفاقاً مبدئياً بقبول فكرة الصلح، إمّا بالشرف والناموس وعلى فنجان القهوة بالعفو عن القاتل، أو بطلب الديّة وفي هذه الحالة فيسمحون للطرف الآخر بالمشاركة بدفن القتيل وفي مجلس العزاء وتكون

هذه القضية بحكم المنتهية، بالتسامح والعفو. ولكن إذا سارت الأمور بغير هذا المسار فتلجا الجاهة لطلب العَطْوَة.

العَطْوَة:

وهي بمثابة الهدنة تمهيداً لاستمزاج الآراء، وتقريب وجهات النظر للوصول إلى حل، و للجاهة أن تطلب العطوة من عائلة المجني عليه، وهي فرصة للحل، ومدة العطوة تبدأ من بعد الدفن وممكن أن تمتد لمدة ثلاثة أشهر، حسب الاتفاق لتذليل العقبات ولأهل المجني عليه أن يقبلوا الجاهة أو يرفضوها أو يستبدلوها بأخرى، لاعتبارات تخصهم، وخلال ذلك تقوم الجاهة بعرض رؤيتها للحل ومن ذلك عملية" العدّ" وهي بمفهوم القضاء العشائري، أن تقوم الجاهة بعملية إحصاء عائلة الجاني حتى الجد الخامس، وهذه الفئة من العائلة يقع عليها مسؤولية مباشرة عن الدم، وأفرادها يعتبرون هدفاً للثأر و الانتقام، ومن خرج من الخمسة من العائلة فهم بحلٍّ من الانتقام، كثيراً ما يطلب من الفئة الأولى بالجلاء من

بيوتهم إلى قرية أخرى، ويعتبر كذلك رمز الخمسة كناية عن عدد أصابع اليد الخمسة التي تمسك بمقبض السيف.

أما إذا وصل شخص من العائلة المعدودة للجد الرابع فإن ابنه يخرجه من نطاق الخمسة، ولكن الذين تقرر عليهم الجلاء ممكن أن تتعرض ممتلكاتهم وبيوتهم للتخريب والتكسير والحرق من عائلة المجني، وأمر عودتم مرهون بالصلح بين الطرفين، وعلى كل الحالات يكون فنجان القهوة هو رمز الشرف والكرامة ومن شربه بإذن المعزب يكون قد أيقن من تلبية الطلب، وإذا رفض طلبه قام من مجلسه ويترك فنجان القهوة مكانه وينصرف بمكانه وينصرف، وهنا يعتبر عدم شرب القهوة فيها إهانة للمعزب.

أما في الأمثال الشعبية، فيقولون: (**فلان مثل جدي الجاهة**) أي إذا كان ذو هيئة غير متوازنة، لأن الجاهة عندما تذهب لطلب عروس أو حل مشكلة يأخذون معهم في العادة(جدي) صغير الماعز

ويكون على ماشي الحال لا يهم إن كان ضعيفاً أو سميناً. وذلك من أجل أن يصنع لهم المعازيب.

وإذا تعنّت شخص برأيه وتشبّث به، فيقولون له: (**كِدّوا عليه جاهة**) وذلك من أجل تليين رأيه أو إرضائه، وأيضاً لإعطاء اهتمام لشخص ما، يقولون: (**الجاهة على قدر الوجاهة**) فالحياة مقامات ولكل دولة مقام ورجال.

❖❖❖

حوراني كركي

بما أنني وفدت إلى الكرك من جديد في الشعر الأخير من العام ٢٠١٢، بعد خروجي من مخيم الزعتري، وفترة انقطاع عن الكرك للفترة امتدت لحوالي ٢٤ سنة، فقد لفت انتباهي طريقة الناس في

نطق بعض الكلمات بخصوصية المجتمع الكركي القريب جداً بعاداته وتقاليده مع أهل حوران.

وقد توقفت على بعض الكلمات التي وجدت فيها مادة تراثية ممكن الكتابة فيها، وقد كان ذلك:

❖أهل حوران عندما يريدون الاستفسار عن أمر ما، وكذلك للسؤال عن شيء ما، يقولون

[الإيشْ – لَويْش] و يقصدون بها لأي شيء، بينما تلفظ بنفس المفهوم [إِلْوِيهْ] عند الكركية.

❖ أهل حوران إذا استهجنوا أمراً وأحيانا تطلق على الاعتراض على شيء ما، ويتعجبون منه يقولون: [إيه]، بينما الكركية يعبرون عن ذلك بقولهم [يهْ] مع التعبير بملامح الوجه بحركات إيمائية في العيون والشفاه واليد أو كلتاهما.

❖ رغم تشابه اللهجتين بلفظ [إت ش ج] وهو ما يطبق على حرف الكاف [كِنتْ – راكين] إلا أن أهل حوران بمعظمهم ينطقونها كافاً.

❖ وفي معرض التودد من شخص ربما تلتقيه للمرة الأولى، يقول له أهل الكرك [خالوه] بينما ينطقها أهل حوران [خال].

❖ أهل حوران عندما يوافقونك على قول هم علموه من قبل يقولون : [أيْ وَتْ]، بينما الكركية ينطقون بمثل هذه الحالة: [أَيْ وَسْ] .

❖ ومن قول الكركية للتحية [قوّى]، بمعنى أن الله أعطاك القوة والعافية، وتستخدم هذه الكلمة أيضاً في الخليج بنفس المعنى.

❖ وهناك لفظة كركية بامتياز، يستخدمونها للسؤال عن الوقت بالتحديد [إكْتيْه] .

❖ وكذلك إذا أرادوا الاستفسار عن حالك إذا لا سمح الله حدث لك أي شيء أو مُكْرَهٍ، يقولون: [عَنامِكْ] والمقصود بها (علامَكَ)، وذلك بقلب حرب الميم إلى نون. ومنهم من يلفظها بالميم.

❖ومن طلب منك حاجة، أو أن تناوله شيئاً فيقول الكركية [إِعْطيني] بكسر الهمزة وهي تتوافق مع بعض اللهجات العربية الفصيحة، ومنهم من يلفظ الصاد بالترقيق لتقترب من السين كمثل كلمة [صادق] الت تلفظ [سادق].

❖ للمذاق الطيب للطعام، وجميع ما يؤكل يقول الكركية تعبيراً عن ذلك [زاكي] ويطلقونها كذلك على الوجه الحسن للمرأة الجميلة، ولكل شيء يرتاحون له يقولون: [كايفْ].

❖ ومن المصطلحات التي يقولها الكركية [وِدْنا إنروّح ع المدينة] وهو من تمسكهم الشديد بمدينتهم التي كانوا بها جميعاً، حيث يتحصنون بها من هجمات الأعداء من البدو المحيطين بهم فقد كانوا يخرجون ليقوموا بأعمال الزراعة والحصاد ويعودون لمدينة

الكرك، وهي دارهم التي تجمعهم ولا يزال هذا التعبير يتردد على ألسنتهم.

وكوني جئت جديداً إلى الكرك، فقد لفتت انتباهي تلك المفردات، وقد أحببت تسليط الضوء عليها لكي ترسخ بذهني وأقدمها للقارئ العربي على شكل معلومة تراثية تستحق التوثيق.

❖❖❖

الجنّايات ..

من التعابير الموسمية الدارجة في حوران (الجنّايات) والجَنَى .. هو ما يجنيه المرء من أرزاق وأموال وذلك في العرف العام، وفي القاموس

[جنى الثمرة، واجْتَناها أي التقطها، والجنَى ما يُجتنى من الشجر ويقال أتانا بِجَنَاهُ طيبةً ورُطبْ].

ومن هنا استخدم أهل حوران، لمن يخرج لالتقاط الثمر والنبات الصالحة للأكل في موسمها الربيعي، يقال له جَنّايْ للشاب، وللمرأة جنّاية.

والجنّايّاتْ: البنات الشابات عندما يخرجن للسهول والهضاب حول القرى، لجمع العَكُّوب و الكزبرة البريّة والخُبّيزَة (الخُبّازى) والرشاد والهندباء والمُرّار والفطر واللّوف في موسم الربيع، وأدوات الجنّايات (العَبْوَة و الخوصةُ والمعقاد واللُّصْمَهْ والرّكُوبة والدبوس).

- فالعَبْوَةُ قصعة حديدة عريضة الرأس ما بين ١٠ – ١٥ سم حادّة في أعلاها حلقة دائرة توضع عصا بطول متر، وهي لاستخراج العكوب من باطن الأرض.

- الخُوصَة عبارة عن سكين ذات يدٍ خشبيةٍ، وتتميز بنصلها القاسي ورأسها الحاد و المدبب، حتى تنغرس في باطن الأرض لقطع جذور النباتات المراد جَنْيَها.

- المِعْقَادْ عبارة عن قطعة قماش كبيرة نسبياً تعقد من أطرافها حتى تتشكل كحافظة لما تلتقطه الجنّاية، وتعلقها على ظهرها.

- اللُّصْمَهْ (اللّثام) وهو منديل أو قطعة قماش تكون طويلة وتلفها الجنّاية على نصف وجهها وتغطي الأنف وتعقدها خلف رأسها بعقدة، وفائدتها أنها تحفظ الوجه من حرارة الشمس وتجنباً للهواء والغبار.

- الدّبوس ذو الرأس المدبب كرأس الإبرة، من أجل نزع الشوك إذا حصل خطأ ودخل الأيدي والأصابع.

وبعد العصر تعود الجنّايات للقرية وقد أخذ منهم التعب كل مأخذ، ويقمن بفرد الجَنَى فالعكوب والخبيزة والمرار والهندباء للفطائر الحورانية الشهية، أو يطبخون الخبيزة والمرار والهندباء

بزيت الزيتون البلدي مع البصل، تأكله العائلة مع خبز القمح الحوراني الساخن (خبز الطابون) كما هو معروف عليه في مناطق أخرى، ويطلقون على هذه الطريقة من الطبخ (هَلْوَسة).

وأما اللُّوفْ فيطبخ ويطلقون على طبخته العبيطة،(اللُّوف - نبات أخضر لا ساق له ذو طعم حرّيفٍ لاذع للفم واللسان، بعد تنظيفه وتقطيعه يطبخ بمريس الجميد الحوراني الشهير– الكِشْي – ويضاف معها العدس والحمّص والبصل وزيت الزيتون وتسمى هذه الأكلة عبيطَهْ كما يضاف زيت الزيتون على الصحن عند تناولها فيعطي المذاق الجميل)، والرشاد البري الحاد المذاق يأكلونه مع الخبز والشنينة (مخيض اللبن)، وكذلك الفطر يطبخونه مع البصل المقلي والبيض غالباً.

ملاحظة لا بد من إيرادها في هذا المقام، فلا بد من التفريق بين مصطلح الجنّاية و(اللّقاطة)، وهي التي تمشي أولاً أمام الحرّاث وتسقط من يدها المليئة بحبوب (العدس أو الجُلْبَانة أو الحمّص أو الذرة) وتنتظر حتى ينتهي الحرّاث (الرجل الذي يقوم بالحراثة)

لنهاية الثِّلْم، وتعود لتمشي خلفه، وتسقط الحبوب من يدها حوالي كل ٢٠ سم حبتين أو ثلاثة، ليطمرها تراب الثِّلْمْ. كذلك والتفريق بين الجنّاية والحشّاشة وهي التي تخرج للسهول المحيطة لتجميع الحشائش للحيوانات التي تعلف في البيوت، والتي يزيد عن حاجتهم يجعلونه على ظهر الحظيرة (البايْكة) لتيبيسه لأوقات الشتاء، ويطلقون عليه الخَصَابْ.

❖❖❖

الذبائح

ومناسباتها في حوران

لا يخلو يوم في حياة أهل حوران، إلا و يكون لهم من السرور والأفراح، أو من الكدر و الأحزان، ولكل مناسبة طقوسها الخاصة، حيث تكثر الدعوات الولائم إكراماً لأصحابها، ويكفي أن يكونوا من الأهل و الأقارب، وللجوار حقوق لا بد من تأديتها و القيام عليها، إكراماً لهم و حق الجوار، وهذه من العادات المترسخة في نفوس وأهل حوران، يتوارثونها جيلا بعد جيل.

١ -للضيف القادم لزيارة أو عمل ما، على الشخص المضيف وهو ما يطلق على تسميته (المُعَزّبْ)، أن يقوم بحقّ ضيفه من ذبح شاة على الأقل، ويدعو إخوته وأبناء عمومته و بعض أصدقاءه، للتعرف على الضيف و إيناسه بالحديث ولطف المَعْشَرْ، وهم بدورهم يقومون بدعوته إلى بيوتهم بعد أن يستأذنوا من المعزّب، وهنا الضيف هو الذي يقرر قبول الدعوة أن الاعتذار إذا كان لا يملك الوقت الكافي .

٢ -للقادم من السفر، أولا هو يُولِمْ بشاةٍ أو أكثر لأبناء عمومته و أصدقائه ويدعوهم للغداء أو العشاء، وهم بدورهم يقومون بدعوته إلى بيوتهم حتى ينتهي الدور فيما بينهم، أو أنه يعتذر بلباقة.

٣ -وللحاج إذا رجع من بيت الله، فإذا ما وصل عند باب داره، فتذبح الذبيحة عند باب الدار، ويخطو برجله اليمين لدخول عتبة البيت من فوقها. وحُجّاج القرية يقومون بدعوة بعضهم بعضاً، كما أن الآخرين من غير الحجاج يدعونهم.

٤ -وفي مناسبة الوفاة، يقوم أحد الجيران بدعوة أهل الميت على الغداء الذي غالباً ما يكون بعد الانتهاء من مراسم الدفن، ويذهبون مباشرة للغداء تلبية للدعوة، كما أن الآخرين يصنعون الطعام لأهل الميت طيلة فترة العزاء، فمنهم من يجلب طعام الفطور وغالباً ما يكون من الفطائر، أما الغداء بالطبع هو من مناسف المليحي. وهذا ما يفعله الناس يكون اقتداء بالسنة النبوية، قول النبي صلى الله عليه وسلم (اصنعوا لآل جعفر طعاماً)، كما أهل الميت يقومون بذبح الذبائح العديدة في اليوم الثالث وهو ما يطلق

عليه (العشا و الونيسه)، ويعتقد كثير من الناس أن الميت الذي لا يقدم أهله (العشا و الونيسه) يبقى فاغراً فاه وهو في قبره. بينما هي في الحقيقة من أنواع الصدقات عن روح المُتوفى .

٥ -من رزقه الله بمولود، فإنه يقوم بتقديم العقيقه وهي شاة عن الأنثى و شَاتَانِ عن الذكر، شكراً لله و أملا في أن يكون المولود من أهل الحياة، وتوزع لحماً نيئاً للأهل والأصدقاء و الجيران. كما أن ختان الأولاد في الصيف يعد من المناسبات الهامة حيث يدعى لها الكثير من أبناء القرية نساء ورجالاً، وتبدأ النساء بالغناء و الزغاريد ويقوم الأب بتقديم الذبائح، وصنع الطعام للمهنئين في هذا اليوم، وغالباً ما يكون الغداء.

٦ -الموالد ومناسباتها متعددة، ومنها تقديم الذبائح لمن نذر نذراً لوجه الله، أن حقق الله له أمنية، وكذلك كصدقة عن أهل البيت أن صدّ الله عنهم بلاء محققاً، وكثيراً ما ينصح بتقديم الذبائح لوجه الله.

٧ -ويلتزم أهل حوران بتقديم الأضاحي في عيد الأضحى المبارك، وإما تكون النية عن أرواح آبائهم الأموات، وإما عن أنفسهم وأولادهم، وتوزع اللحوم نيئة ً على الفقراء و المحتاجين و الأهل والأصدقاء و الجوار.

٨ -وتعد الأعراس من المناسبات الكبيرة عند أهل حوران، وفيها تتم الاحتفالات لمدة أسبوع، فإذا ما ذهبوا لطلب يد بنت من أهلها، فإنهم يأخذون معهم ذبيحة من أجل الجاهة. حيث أن أهل العروس يقومون بعمل غداء للضيوف، فيذبحون الشاة التي جاؤوا بها. وكذلك هناك دعوة التعارف المتبادلة ما بين أهل العريس وأهل العروسة، ويجري فيها إعداد المناسف المكللة بلحم الضأن، ووليمة العرس التي يجتمع فيها معظم أبناء القرية، فبعد زفاف العروس إلى بيت زوجها تبدأ مراسم الغداء وهذا يستلزم العديد من الذبائح حسب قدرة كل شخص المادية، وقد ورد في الحديث الشريف (أوْلِمْ ولو بشاة)، وقبيل الزفاف بأيام أهل العروس يأتون بأغراضها وثيابها لبيت زوجها، فيقوم أهل العريس بإكرامهم بعمل غداء

وربما يذبحون شاة أو اثنتين، وبعد الزفاف يأتي أهل العروس للمباركة لها ويسمون هذا اليوم (يوم الحلو) يأخذون معهم الحلويات بكمية كبيرة وخاصة الراحة والبسكويت وإعطائها النقوط، ويقوم أهل العريس بعمل غداء لهم، وعندما تقوم العروس بالزيارة الأولى لبيت أهل ويسمى هذا (رَدّةُ الرِّجلْ) أن رجلها عادت لعتبة بيت أهلها، وهنا يقومون كذلك بإعداد الغداء ويدعو أبو العريس وأمه وإخوته وأخواته.

٩ -خميس الأموات، وهو آخر خميس قبل انتهاء العام، يقوم معظم أهل القرية المقتدرين بذبح الذبائح التي يربونها من أجل هذه المناسبة التي كانت متداولة على نطاق واسع، ولكنها انقرضت منذ زمان بعيد، ومعظم الناس يأكلون اللحم في هذا اليوم، وهو صدقة عن الأموات، كالصدقة الجارية. ويروى أن أحد الأشخاص أصيب بمرضٍ، فذهب للطبيب، وبعد الفحص وعمل اختبارات التحاليل، تبين أن الشخص مصاب بفقر الدم، استغرب الطبيب ذلك، واستنكر عليه أنه لا يأكل اللحم، فرد على الطبيب (والله

يا دكتور كل خميس آكل اللحم) استغرب الطبيب ذلك، فما دمت كل خميس تأكل اللحم من المفترض أن لا تصاب بفقر الدم) وما درى الطبيب أنه خميس واحد في السنة.

١٠ -عند الانتهاء من الحصاد ويسمى (الجُّورَعَهْ) غالباً ما كانوا يحتفلون بذبح شاة لأهل البيت لتعويضهم عن التعب الذي لحق بهم، خاصة إذا كانت هناك (فزعة) أي معونة بلا أجر من الأهل والأصدقاء، وكان هناك ما يُسمّى (الهَدّهْ) وهو جوار الحقل عندما ينتهون باكرا من حصاد حقلهم، ينقلبون إلى جوارهم حتى ينتهوا كلهم سوية، ويذهبوا للقرية معا والسرور و الفرح يملأ قلوبهم .

١١ -عند بناء البيت من الحجارة البازلتية، و الوصول للمِدْمَاكْ الذي ينتهي عنده الارتفاع المطلوب للأبواب والشبابيك، يجيء دور وضع حجر طويل وفق جانبي الباب والشباك (الحِنْتْ)، وهذه العملية ما يطلق عليه (التَّحنيتْ)، ويأتي رجال الحارة للمساعدة في رفع هذه الأحجار الكبيرة، وفرحة صاحب البيت أنه أصبح في منتصف البناء، ويقوم بذبح شاة أو أكثر، ويغمس أحدهم بدم

الشاة ويطبعها على الحِنْت، وعند الانتهاء من العمل والسّكن في البيت، يقوم بعمل مولد تذبح فيه الذبائح العديدة، ويدعو العديد من أبناء القرية طعام الغداء في بيته الجديد، وفي الاعتقاد أن يكون المنزول فأل خير على ساكنيه. وهذه الوليمة يطلق عليها في اللغة اسم (الوكيرة) وهي الوليمة لمن يسكن في بيت جديد. ويقوم الجيران بدعوة جيرانهم الجدد لطعام يصنعونه ويرسلونه لهم وهو ما يطلق عليه (النِّزَالَة).

١٢ -كذلك يجري نحر الذبائح عند إتمام إجراءات الصلح العشائري في حل الخلافات وإصلاح ذات البين، والقتل غير العمد (قتل الخطأ) بعد الاتفاق على عقد الصلح وعقد الراية، يقوم أهل القاتل بدعوة أهل القتيل لبيتهم بحضور أطراف الواسطة، وعند الظهيرة تجيء المناسف العديدة، بما يليق بالحضور.

❖❖❖

ردّة الرِّجِلْ..

تعتبر عادات الأعراس والأفراح متقاربة في الإقليم الجغرافي الواحد، لكن تختلف خصوصيّتها من منطقة لأخرى داخل هذا الحيّز الجغرافي.

فإذا ما تزوّجت إحدى البنات، وزُفّتْ إلى بيت زوجها، بعد احتفال متعدد الطقوس وتكون قد خرجت من بيت أهلها لأول مرة، إلى بيت جديد ووجوه جديدة عليه التأقلم مع الواقع المستجّد عليها، مع حماتها أم زوجها ووالده وإخوته وأخواته.

وخلال فترة العرس تنقطع تماماً على جوّ أهلها السابق الذي اعتادته، ففي أول زيارة لها إلى بيت أهلها، ويكون الشوق و الحنين قد أخذ من نفسها مأخذاً عظيماً، فيكون قدومها مناسبة للأهل للقاء ابنتهم في بيتها الأول، مليئة بالشغف فما كان بالأمس قبل زفافها معتاداً، فلآن أصبح من ذكريات الماضي.

وهذه الزيارة الأولى، يطلق عليها أهل حوران (ردّةً الرِّجْلِ) أي أن رجل ابنتهم التي خرجت من بيتهم، ها هي عادت وردّتْ إلى

مكانها الأصلي، ولكن في هذه المرّة كزيارة بصحبة عريسها، ولها من الأهمية بمكان، حيث يقوم الأب بذبح شاةٍ أو أكثر على شرف ابنتهم و زوجها (نسيبهم)، فيبدون له كل الاحترام و الاستقبال الحسن، على اعتبار أنه أصبح أحد أفراد عائلتهم، ويقوم والد العروسة بدعوة أهل العريس للغداء في بيته مع العروسين، و هكذا يقضون يومهم كأسرة واحدة.

وفي المساء عندما يحين وقت العودة وانصرافهم، يقوم الأب بتقديم هدية قيمة يكون قد جهّزها مسبقاً لمثل هذا اليوم، وغالباً ما تكون غرضاً تستخدمه ابنتهم في بيتها، ومن المتعارف أن هذه الهدية يشتريها الأب من نقوط ابنتهم عند خروجها من بيتهم لأنهم هم الملتزمون بسداد هذا النقوط لأصحابه في مناسباتهم، ولا علاقة للعريس بسداده، على اعتبار أن من قاموا بالنقوط هم معازيم أهل العروس من أقاربهم وجيرانهم وأبناء عمومتهم، و ما يزيد من النقوط بعد شراء الهدية، يقوم الأب بتقديم المبلغ لابنته لتستعين به وزوجها على قضاء حوائجهم والتزاماتهم به.

❖❖❖

يالله الغيث يا ربي ..

تسقي زريعنا الغربي

كان الفلاحون في بصرى الشام وسائر المناطق الأخرى، يعتمدون في ري مزروعاتهم على مياه الأمطار، التي تجود بها السماء ببركاتها عليهم وما زالوا، وإن استقبال موسم الأمطار بالفرح والسرور، قد أنشأ أدبيات تناقلتها الألسن شفاهية، يرويها الجيل عن الآباء والأجداد، وفي زحمة التطور الهائل وانتقال المجتمع من الحالة الزراعية إلى الأعمال الأخرى، و تبدل أنماط المعيشة، ودخول أنماط معيشية وسلوكيات غريبة عنا، فقد تعرض هذا التراث للإهمال والنسيان، وإن الأجيال الجديدة المعاصرة تكاد تنقطع الصلة بينها وبين تاريخها وتراثها، وهذا مما حفزني على هذا الاتجاه التوثيقي، لكي يستطيع أي شخص معرفة تراثه .

-وعند نهاية الصيف وفي نهاية الشهر التاسع (أيلول)، يتوقع الناس هطول المطر ، وقد عبّروا عن ذلك بقولهم (أيلول ذيلو مبلول) أي أن المطر يرتجى في آخر أيلول حسب استقراءاتهم .

-وعندما يكون المطر مبكراً في أول الموسم ، يقولون

(المطر هِرْيِفْ) أي مبكر وإذا تأخر المطر في الهطول يلجأ الناس لصلاة الاستسقاء، والدعاء، ومن ذلك قولهم في الأهازيج (يالله الغيث، يا ربي، تسقي زريعنا الغربي، ويجيء شهري تشرين الأول والثاني، ويكون قد استبشر الناس خيراً بقرب قدوم موسم الأمطار، وقد قالوا في ذلك:

(المطر قبل ١٧ تشرين ثاني يكون طِراحْ – بلا فائدة - وما بعد ذلك لِقاح - أي ذو فائدة -)، وما بين التشرينيْن تأتي أيام ترتفع فيها درجات الحرارة حيث قالوا في هذا المقام(بين التشرينيْن صيف ثاني) .

-وبانتهاء تشارين يكون قد جاء كانون أول ، وتكون درجات الحرارة قد أخذت بالانخفاض، وتكرر الرياح اليومية ، وفي هذا، قال أحد الشعراء:

إذا جاء الشتاء فأدفئوني = فإن الشيخ يزعجه الشتاء

بمعنى أن الناس يرجعون لألبستهم الصوفية والقطنية وخلافها، لاتقاء شر البرد والذي كما يقولون عن ذلك (أن البرد ليس عليه مراجل – فهو قاتل)، وشدة البرد في كانون يقولون عنه **(إذا إجا كانون، كِنْ ببيتك على خبزك وزيتك)** أي أن شدة البرد وكثرة الأمطار والثلوج حيث يتعذر على الناس الخروج للسوق لشراء أغراضهم من طعام وشراب وخلاف ذلك ، فلا يخرجون بل يعتمدون على مخزونهم من المواد لثل تلك الأوقات العصيبة .

-لكن إذا ظهرت الشمس بحرارتها ودفئها في كانون ، فإن ذلك نذير شؤم عند الفلاحين خوفاً على الموسم وضياعه من أيديهم، وفي مثل هذا المقام قد قالوا: **(الشمسة بكانون، نقص بالحابون)** أي نقص في الغلة، والحابون هو الكومة من الزرع المحصود.

-المربعانية: وهي أربعون يوماً تبدأ (٢٢ كانون أول \٣١كانون ثاني) وهي العمود الفقري لفصل الشتاء، ففيها البرد الشديد والثلوج والأمطار الكثيرة .

-الخمسينية: وهي خمسون يوماً تبدأ من (١ شباط – ٢١آذار) وفيها تتكسر شدة البرد قليلاً، وثنائية المربعانية والخمسينية تأتي من (المربعانية٤٠ يوم + الخمسينية ٥٠ يوم= ٩٠ يوم وهو فصل الشتاء) .

-وقد قيل عن شباط (**شباط إن شبّطْ أو لبّط ، ريحة الدفا أو الصيف فيه**) أي إنه عندما يجيء شهر شباط ترتفع معدلات درجات الحرارة أكثر من كوانين لأن المربعانية تكون قد انتهت .

-وشباط يتغازل مع آذار بقوله (**آذار يا ابن عمي، ثلاثة منك، وأربعة مني، تخلي فصوص العجوز تونّ**)، وهذه السبعة أيام تسمى العجائز وهي شديدة البرودة أي أربعة أيام من آخر شباط وثلاثة أيام من أول آذار تصبح سبعة أيام وهي شديدة البرودة وفي تسميتها الشعبية (العجائز). واسمها مستقى من المثل السابق .

-وقد قيل في شهر آذار (**آذار الهدّار، أبو سبع ثلجات كبار، الزغيرة فيهن للزنّار**) ، وكذلك إن غلّت وراها آذار، وإن أمحلت وراها آذار)، أي إن شهر آذار تتوقف عليه جودة الموسم أو سوئه.

-وفي نيسان يرتجى المطر والخير وإن فات شيء منه في آذار وقد قالوا في مثل هذا المقام (**شتوة نيسان، تسوى السكة والفدان**)، أي من روعتها تعادل سكة المحراث والفدّان هو زوج من الثيران يستخدمان للحراثة، وكذلك قالوا: (**آذار حَبَلْ، نيسان سَبَلْ**) أي إن نمو الزرع الحقيقي يكون في آذار ، بينما نيسان بداية تشكل السنابل .

❖**ترقب المطر واستطلاعه**: -

فإذا جاءت الريح الشرقية، فهي بشارة خير بقرب قدوم المطر فقالوا: (**الشراقي مِحْرَاك الشتا**) أي تحرك المطر وكذلك فإن الغيوم هي المقدمة للمطر والثلج وقد قالوا: (**إن ضبضبت على باكر إحْمل عصاك وساف، وإن ضبضبت عشيّة دوّرْ لك على قُرنة**

دفيّة) أي بمعنى إذا جاء الغيم صباحاً احمل عصاك وأمتعتك وسافر، لكن إذا كان ذلك مساء يجب عليك المبيت في مكانك. وفي لفظ آخر قريب من هذا المعنى (إن غيّمت) بدل ضبضبت.

وقد قالوا (**إذا كان شتاها شمالي يا ضياع عيالي ، وإذا كان قِبْلي (جنوبي) يا ملاة عِدْلي**) وهذا مما يدل على مجي المنخفض القطبي البارد والمحمل بالثلوج والأمطار، بينما المنخفض القادم من الجنوب الغربي أي البحر الأحمر من فتحة عجلون يكون خفيفاً، و يا ملاة عِدْلي أي أستطيع الخروج للعمل (والعِدلْ) هو كيس من الخيش أو الصوف، في مثل ذلك قيل: (**إن كان البرق بانياسي، شتاها يا مصابح يا ماسي**) ،وإن كان البرق عجلوني وبانياس بلدة في محافظة القنيطرة عند أقدام جبل الشيخ، وهذا يدل على المنخفض القدم من هذه الجهة قطبي، البرق العجلوني من الجنوب الغربي من فتحة عجلون قادم من البحر الأحمر يكون أقل من القطبي .

❖انتهاء فصل الشتاء:

وينتهي فصل الشتاء بانتهاء الخمسينية في ٢٢ آذار وعبروا عن بقولهم (**ما دام النصراني صايم، ما دام الشتا قايم**) لأن فترة صيام الأخوة المسيحيين خلال فترة من الخمسينية وبعدها بأيام قليلة، ويكون الشتاء قد انقضى وابتدأ فصل الربيع .

هذه النبذة عن عادات الفلاحين في استقبال موسم الأمطار من كل سنة، وحق تراثنا المحافظة عليه بتدوينه منعاً للاندثار، دمتم

❖❖❖

مناسبة الثلج

عند أهل حوران

يعتبر مجيء الثلج فأل خير ورحمة عند الفلاحين بشكل عام، فهم ينتظرون قدومه بفارغ الصبر وخاصة في المِرْبَعانِيّة، وهي أربعون يوماً تبدأ (٢٢ كانون أول – ٣١كانون ثاني) وهي العمود الفقري لفصل الشتاء، ففيها البرد الشديد والثلوج والأمطار الكثيرة . وإذا ارتوَتْ الأرض فيها يقولون عنها (رَيّة كانُونِيَّهْ) ويطلقون على كانون الثاني (كانون الفحل)، لكن إذا ظهرت الشمس بحرارتها ودفئها في كانون، فإن ذلك نذير شؤم عند الفلاحين خوفاً على الموسم وضياعه من أيديهم، وفي مثل هذا المقام قد قالوا: (**الشَّمْسَهْ بكانون، نَقْصٌ بالحَابُون**) أي نقص في الغلة، و الحابون هو الكومة من الزرع المحصود .

وفي هذا الموسم من السنة يكونون متهيئين بأطعمتهم ووسائل تدفئتهم البسيطة، فلا يخرجون من بيوتهم إلاّ للحاجة القصوى. والبيوت كما هو معلوم قديمة، من الحجارة والطين، فتتوقف كل أعمالهم وتكون أيام إجازة وراحة للمرابعين (العمال الذين يعملون بأجرة ولهم ربع المحصول) و المقاطعجيّة (الذين لهم أجرة معلومة

مقطوعة يأخذونها في نهاية الموسم)، فعندما تتوقف السماء عن المطر أو الثلج، عليهم (دَحْلُ الحيطان) أي أسطح المنازل الترابية، خوفاً من أن تَدْلِفَ عليهم (أي وصول قطرات الماء متسربة من شقوق السطح). وهم يستخدمون أدوات لا بدّ من ذكرها.

-الرَّحْتُ: وهو عبارة عن قطعة خشبية تقريبا (٥٠× ٣٠ سم) ولها يد طويلة، وذلك لجرف أكوام الثلوج، وإزاحتها عن السطح، لتفادي تسرب المياه إلى الغرف.

-بعد تنظيف الأسطح كاملة، يرشُّون التبن الناعم، المسمى (العُورْ) وهو ما يتساقط من الغربال ناعماً عند وضع وجبات الحيوانات.

-يأتي دور (المِدْحَلَهْ) وهي أسطوانة حجرية ملساء متوسطة الحجم وعلى جانبيها فتحتيْن ليخل بهما رأس (الماعوص).

-(الماعوص) وهو القبضة الحديدية المطوية لتكون صالحة لجرّ المِدْحلة على السطح. ذهاباً و إياباً حتى تدك التراب ويصبح صلباً لا يسمح بمرور قطرات الماء من خلاله حيث تتوالى العملية عدة مرات.

وفي الليل عندما تحصل حالات التجمّد الشديدة نتيجة انخفاض درجات الحرارة لما دون الصفر، فيتجمد كل شيء، حتى أن المياه النازلة من المزاريب تتجمد وتصبح خيوطاً لؤلؤية، وهذا ما يطلق عليه (القناديل)، وهي من بشارات السنة التي يأتي فيها الخير ويكثر فيها العطاء.

وكذلك من الأشياء المحببة عند الفلاحين يقومون بخلط الدبس مع الثلج ويلتهمونه بالملاعق، وهي ما يطلقون عليه (بَكْسَمهْ)، وما لا ينسى عندهم صنع شُكْرَانِيّة لله على نزول الغيث، وهي من الحلويات التي يصنعونها في البيوت مثل (اللّزاقيّاتْ والزلابيا، وغيرها).

وهذا بعض مما جادت به الذاكرة، مما تبقى في طياتها.

❖❖❖

مشارطة بالحقلة ..

ولا معالجة بالبيدر

كان الفلاحون في بصرى الشام، وفي الأرياف بشكل عام، يقضون العام من الحول إلى الحول، وهم يعملون في أراضيهم الزراعية، بهمةٍ وجدٍ ونشاط حيث أن الأرض قد اصطبغت بلون دمائهم، التي جبلت فيها مع أرواحهم وقد تلقنوا دروس حبها وفدائها على نهج الآباء والأجداد، الذين ذادوا بحياضهم عنها، وقد اقترنت الأرض في ذاكرتنا الشعبية بالعرض، وإذا انتهك أحدها فإما الفداء يكون بالدم، هذه الثنائية هي التي أورثت التشبث بكل ذرة من التراب و تعادل الروح . وهي مصدر الرزق والحياة للجميع .

ويحكى أن أحد مالكي الأراضي، أراد استئجار شخص للعمل لديه في الأرض.

فقال له: كم تريد أجرتك (طبعاً بالسنة).

فرد عليه: لن نختلف.

فقال صاحب الأرض: لا يا أخي مشارطة بالحقلة ولا معالجة بالبيدر.

حيث أن الأجور كانت تعطى للعمال، وكذلك لسداد الديون، ومهور الزواج، كل ذلك من ناتج الأرض، وهنا أتوقف لتفصيل ذلك المثل، أي أنه يجب أن يكون الاتفاق واضحاً الآن وفي الحقلة أي الحقل الصغير، لأن ذلك مناسب للطرفين.

وإذا لم يكن هناك اتفاق فإن المعالجة كثيراً أو قليلاً في البيدر عندما يكون الإنتاج جاهزاً ويحصل الخلاف والشعور بالغبن .. ويقولون (الذي أوله شرط، آخره سلامة) وهذا من الحق .

كان السائد أن العمال الذين يعملون بالأجرة السنوية، كانوا على نوعين فهم إما أن يكونوا (مرابعين أو مقاطعجية) فالمرابع هو رجل في متوسط في العمر يتكفل بخدمة (رُبْعة أرض) وهي ما تعادل ما بين (٢٠٠دونم - ٣٠٠دونم) حسب تقسيم الأرض ، ويقوم

بأمورها كلها حتى يحصدها ، والعناية كذلك بالبهائم التي يحرث عليها من ثيران وبغال وحمير وخيول مُكدّشة للعمل عليها. ولقاء كل هذا له ربع ناتج الأرض التي عمل بها وخدمها.

بينما المقاطعجي يكون شاب في مقتبل العمر، يأخذ أجرته مقطوعة في السنة، ينام ويأكل عند بيت صاحب الأرض. والأجور تعطى بالمُدْ وهو واحد من المكاييل التي تعادل صاعين (ويكون المد ٢٠ كغ والصاع ١٠كغ).

ويقوم بكل الأعمال التي توكل له، عليه إنجازها جميعاً ، وهذه كانت شروط العمل يومذاك.

ويحكى أن التجار في بصرى، والقسم الأكبر منهم كانوا من دمشق، وقسم أقل وهم من أبناء البلد. بالطبع كانوا يجلبون البضائع من دمشق إما بواسطة قوافل الجِمال أو بالقطار الذي تصل نهايته إلى بصرى. وكان الفلاحون يشترون حاجياتهم من مواد غذائية أو لباس من عند التجار بالديْن حتى موسم الحصاد

والبيادر، وذلك لندرة النقود في يد الناس، وكانوا يقولون: (**إذا كان دين زِنْ رطلين**) والرطل هو وحدة أوزان تعادل(٢,٥كغ).

هكذا هي حياة آبائنا وأجدادنا، كانت قاسية، ينتزعون لقمتهم بالكد والتعب وعلى مدار العام، ولا يحصلون على يوم عطلة واحد، وهم متوكلون على اللّه، يزرعون وينتظرون رحمة اللّه بالمطر وموسم الغِلال كثيراً ما كانت السنين الماحلة تأكل كل مدخراتهم، ويقعون تحت طائلة العجز المادي ، حيث يلجؤون للمرابين ومصاصي الدماء (يأخذون ليرة ويدفعون ليرتين على الموسم)، وكثير من الأعوام يوزعون كل المحصول حتى لم يبق لدى البعض منهم المونة، هذه حياة القساوة المصبوغة بالحب والطيبة.

❖❖❖

المَحْفَرة

المحفرة مرتفع من الأرض شمال شرق بصرى، يقصده الأهالي لجلب التراب إلى البيوت، ينقلونه على ظهور الحمير، لاستخدامه في ترميم الجدران والأسطح ، وذلك في بداية كل صيف.

تجتمع نساء الحارة بما يسمى (الفزعة) أي تتعاون النساء في مساعدة جيرانهم في مثل تلك الأعمال الكبيرة والموسمية، بعد خلط التراب بالتبن وعجنه بالماء يصبح طيناً لزجاً (مجبيليّة)، وذلك قبل انتشار الإسمنت، وبعد تطيين الجدران وأرض الغرفة والسطح وبعد فترة من الوقت يجيء دور تمليس الطين الخشن بالحجر الأملس الذي يعادل حجم الكف يسمى (المدلك) يغمسونه بالماء ويدلكون به الطين فيزداد تماسكاً، وهذا الحجر مثير للنفس بشدة نعومته يجلبونه من بين حجارة الوادي قد عملت به عوامل الزمن هذه النعومة، وبعد انتهاء النساء من العمل يكون طعام الغداء جاهزاً.

في مثل هذه المناسبة يطبخون المليحي (طبيخ ممرّق -أي عليه مرقة فقط ليس فيها لحم)، وهو من البرغل الناضج يدعك في المنسف ويوضع عليه مرقة اللبن الجميد بعد طبخ اللحم فيها، ويوضع اللحم والكباب المحشية باللحم الناعم مع البصل، على وجه المنسف ويصب عليه السمن العربي.

بالطبع في أيام الصيف، كان معظم أهل القرية ينامون على الأسطح، وفي الشتاء تخترق الأمطار، يصعد أهل البيت إلى السطح لدحل السطح الترابي بالمِدْحَلِة (حجر مبروم تقريباً قطرها ٤٠ سم بطول ٧٠ -١٠٠سم مثقوبة من جانبها ليوضع فيها مقود المدحلة المسمى (ماعوص) ويجرونها ذهاباً وإياباً طولاً وعرضاً

بعد رش التبن الناعم الناتج بعد الغربلة المسمى (عُوُرْ) دورة الدحل هذه ممكن أن تتكرر مرات عديدة حسب موسم الأمطار هي حياة الريف بفلاحيه الذين ينتزعون لقمة العيش بقوة الإرادة والصبر ، والتكيف الكبير مع ظروف الطبيعة القاسية وتذليلها بما يتناسب مع حياتهم .

❖❖❖

إعْرامْ القَمُحْ..

المقيم مثلي في الكرك جنوب الأردن، كثيراً ما تمرّ بعض الكلمات و التعابير الغريبة عن بيئتي الحورانية، في جنوب سورية، لجأت من الجنوب هناك، للجنوب هنا، وقد ورد معي تعبير (إعْرامْ القَمُحْ)، ولمعرفة المقصود بذلك التعبير، سألت صديقي (محمد

مدالله العساسفة)، فأجابني: " بأن العِرامْ، بكسر العين، وتسكين الميم، وهو مكيال وهو مقدار كَفيّ الرجل أو المرأة إذا وضعهما بجانبي بعضهما بعضاُ، وقد ملأتهما الحبوب أو شيء آخر، فهذه الكمية يطلق عليها (العِرامْ)، وعند حوران يطلقون على هذا المكيال اسم (الزَّوْر) وفي هذا المعنى، (**فلان ما بيشرب إلاّ من زوره**)، أي أنه يقوم بالمغامرة و التجربة الخاصة به، فلا قناعة لديه في تجارب الآخرين، و (إللي ما يشرب من زوره ما يرتوي)، كناية لخوض التجربة بنفسه.

وهناك مثل سائر على ألسنة أهل حوران: (فلان مِذراتَهُ في راس عُرْمَته) لكن كلمة رأس تلفظ بتخفيف الهمزة، بحيث أنها لا تلفظ، هكذا باللهجة تنطق. وقد ورد في قاموس مختار الصحاح، أن (العَرَمهْ) بفتح العين والراء، هي الكُدُسْ (جَمْعُ الكديس) الذي جُمِعَ بعدما دِيسَ لِذْرى . و للتعريف بالمذراة، هي ما آلة يستخدمها الفلاحون لتذرية الحبوب من القمح وسائر الحبوب، وهي مصنوعة من الخشب على شكل أصابع ملتصقة ببعضها من

الأعلى ومنفرجة من الأسفل، على شكل يد، طول كل اصبع منها حوالي ٢٥ سم، مرتبطة بيد خشبية بطول ١متر أو أكثر قليلاً، أما الشاعوب الشبيه بالمذراة، فهو مصنوع من الحديد، يستخدم لنشر أكداس القش المحصود في البيدر، وجعلها على شكل دائرة، لتكون جاهزة للدِّراسْ (التنعيم)، بواسطة لوح الدراس الخشبي، حيث تجره الفرس أو البغل أو حمارين، وذلك لفصل الحبوب والبذور من السنابل و الأجراس، وجعل السيقان و الأوراق تبناً ناعماً لإطعام الحيوانات.

وذلك بعد عملية الفصل ما بين التبن والحبوب، وهو ما يطلق عليه (التذرية)، وغالباً ما تكون بعد العصر، شريطة وجود الهواء خفيفاً، لتسهيل الفصل ما بين المكونات، وبعد ذلك يجمعون الحبوب على شكل هرم، رأسه من الأعلى يطلق عليه (العرمة)، وبالرجوع للمثل (**فلان مذراته برأس عُرْمته**) أي أنه مطلق الحرية في تصريف شؤونه وتصرفاته، ويكون تصرفه من تلقاء نفسه، ولا يتلقى تعليمات من أي شخص كان، ويفعل ما يريد، ومثل هذا

المثل يأتي في معناه (فلان إيده تصبُّ على رأسه)، وأيضاً يضرب مثلاً في عكس هذه الحالة (**فلان إيده لا تصبّ على رأسه**) وهو لمن كان هناك أمر فوق أمره.

وهناك أيضاً مثل متداول عند معظم أهل حوران، يقول: (**العرّام وصل الفقيع**) و العرّام هو وادي من أودية حوران يمر قريباً من مدينة الصنمين في الريف الشمالي لمحافظة درعا، عابراً لبلدة تُبنة، يمشي غرباً مخترقاً السهول ويصل لبلدة دير العدس، و الفقيع قرية بعيدة نسبياً عن مسار الوادي، وهي تقع شمال مدينة الشيخ مسكين، ويبدو أنه لا يصل إليها كل سمة ولكنه في الفيضانات الشديدة حتى يصل، والمثل يضرب، إذا اغتاظ شخص مثلا من تصرفات صديقه أو أي شخص آخر، وطفح الكيل، و لو ليس باستطاعته أن يصبر أكثر من ذلك، ولا بد من وضع حدٍّ لتجاوزاته، فيقول هذا المثل. وهو يتماشى مع المثل العربي المعروف (بلغ السيل الزُّبى).

والتَّعْريم، مفهوم شائع عند أهل حوران، ويقصدون به، الزيادة فوق حد المكيال، ويقال في ذلك: (صاعٌ مُعَرَّمْ) أي مليء فوق حوّافه. وقد استخدم هذا المعنى مجازاً، عن ما (**فلانٌ مُعرِّمْ**) أي يشمخ برأسه بكبرياء، متكبر ومتعالٍ على الآخرين.

❖❖❖

لا تطعم البدوي كباب

(مثل حوراني)

في كل يوم ثلاثاء من كل أسبوع، كانت وفود تجار المواشي تفد إلى بصرى حيث هناك ساحة ترابية واسعة بين البيادر، يقام فيها

السوق مع بزوغ الشمس، وكانوا يسمونه سوق (المواشي – الطرش)، وكل تاجر أو من أراد بيع أو شراء شيئاً من الحيوانات يأتي إلى هذا المكان، والذي تعرض فيه جميع أصناف الحيوانات، وهناك وعند كل عقد صفقة للبيع أو الشراء تتعالى أصوات الدلالين الذين يقومون بالتوفيق بين طرفي البيع حتى تتم الصفقة، و يتقاضوا عمولتهم المأمولة من مثل تلك الصفقة ومعظم الذين يفدون إلى هذا السوق هم البدو الرُحّل، الذين يرحلون طلباً للماء والكلأ ومع المواسم وبعد انتهاء السوق حوالي الظهر يتحولون لشراء أغراضهم وحاجياتهم من المحلات التجارية، ومنهم من يزور أصدقائهم، من أهل القرية

وتصادف أن أحدهم جاء إلى مضافة الجد وجلسوا(يتجاذبون أطراف الحديث) إلى أن حضر منسف المليحي (والمنسف وعاء نحاسي مدوّر متعدد الأحجام الذي وضعوه في وسط المضافة. قال الجد: تفضلوا على الميسور.

وجاء الولد، بإبريق ماء ومعه طبق واسع ، ليغسلوا أيديهم قبل بدء الأكل وتقدموا إلى المنسف المملوء بالبرغل وفوقه قطع اللحم، والكِباب المقلية التي اتخذت الشكل المفلطح، ومحشوة باللحم الناعم والبصل والبهارات والجوز وفوقها المرقة من اللبن الجامد المسمى (كِشي – أو جميد)، وأخيراً صب الجد السمن العربي فوق المنسف و طشطشة السمن برائحته الزكية، كانوا قد أنهوا الغسيل، وتقدموا بعد أن تلفظ كلٌ منهم باسم الله تناول الضيف البدوي كُبّةً وراح يلتهمها ، ويهز رأسه مستمتعاً بطعمها اللذيذ

وقال: شو هالكبة الطيبة .

رد الجد: فيها العافية، إن شاء الله .

قال رجل يجلس قبالة البدوي: لا تطعم البدوي كباب ، كل

يوم يدق لك على الباب.

تعالت الضحكات والقهقهة. لكن الضيف البدوي احتج : ليش البدوي بالذات.

قال الجد : لأن البدو لا يحسنون صناعة الكباب ، والفلاحين هم من يتقنون ذلك.

ولكن أحد الرجال، لا يحب التعامل مع البدو، ومخالطتهم لم يخف ذلك في نفسه.

بل قال: إذا كان حجة البدوي عباءته، ففراقه بسوق العبي أي أظهر ضيقه وتبرمه من ذلك الضيف. أي بمعنى ادفع أي شيء في سبيل التخلص مما أنت فيه، وهي أطباع البشر.

هنا تدخل الجد للحفاظ على هيبة الجلسة والمضافة ، وحفظاً لكرامة الضيف ؛بقوله: يا ناس، هذا ما يجوز، فهذا الرجل صديق ومخلص ووفي، وهو يتردد علينا منذ أكثر من عشرين عاماً ، والبيت بيته.

هذا جزء من العادات التي كانت متداولة في الماضي، أرجو أن يكون توثيقاً حيث أنها حكاية فقط .

❖❖❖

المؤلف في سطور

- **محمد فتحي بن قاسم المقداد.**
- **تولّد ١٩٦٤ بصرى الشام – محافظة درعا – سوريّة.**
- **حاصل على شهادة الثانويّة العامّة، الفرع الأدبي ١٩٨٢.**
- **العمل في مهنة حلّاق رجّالي.**
- **<u>الأعمال المطبوعة</u>:**

– كتاب (شاهد على العتمة) طبع في بغداد، عام ٢٠١٥.

– رواية (دوّامة الأوغاد) طبعت في عمّان ، عام ٢٠١٦.

– كتاب (مقالات ملفّقة – ج١) طبع في عمّان ،عام ٢٠١٧.

– رواية (الطريق إلى الزعتري) طبعت في عمّان، عام ٢٠١٨

– رواية (فوق الأرض) طبعت في عمّان، عام ٢٠١٩

– مجموعة قصصيّة (بتوقيت بُصرى) عام ٢٠٢٠

- **الأعمال المنشورة إلكترونيا:**
  - **كتاب (بلا مقدمات).**
  - **كتاب (أقوال غير مأثورة).**
  - **مجموعة قصصية (قربان الكورونا).**
  - **كتاب (إضاءات أدبية).**
  - **كتاب تراث (رقص السنابل).**

المحتوى

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥

مفهوم التراث	٧
الاعتقادات الشعبية الأسطورية	١٧
العين والخرزة الزرقاء	٢٨
القمح في ذاكرة حوران	٣٢
الخبز و المعجنات	٣٨
اللباس في التراث الحوراني	٤٦
العباءة في تراث حوران	٥١
العقال في تراث حوران	٥٧
العادات الرمضانية في حوران	٦١
المسحراتي (الطبّال)	٦٦
ترانيم رمضانية	٧٠
طب الخوابي	٧٤
فن الهوهاية	٧٧
فن الهولية	٧٩

الختان (الطُهُور)	٨٤
الجاهة والعطوة	٨٨
حوراني، كركي	٩٥
الجنّايات	٩٩
الذبائح ومناسباتها	١٠٣
ردّة الرِّجْل	١١١
يا اللّه الغيث يا ربي	١١٤
مناسبة الثلج	١٢١
مشارطة بالحقلة	١٢٥
المحفرة	١٣٠
إعرام القمح	١٣٣
لا تطعم البدوي كباب	١٣٧
المؤلف في سطور	١٤١

تم بعون الله وتوفيق

كتاب رقص السنابل

الخاص بالتراث الحوراني

للروائي محمد فتحي المقداد

للتواصل مع المؤلف

الإيميل (rafy2bos42@yahoo.com)

الواتساب (٠٠٩٦ ٢٧٩٧٨٥ ٢٦٩٦)